التَّجَلِّيَاتُ الشَّاذِلِيَّة

فِي

شَرْحِ الصَّلَوَاتِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّجليات الشَّاذلِيَّة
في
شَرحِ الصَّلواتِ على خيرِ البَرِيَّةِ

[لابن مشيش والشاذلي والبكري قدس الله سرهم]

بشرح

تاج العارفين سيدي

شمس الدين محمد بن خليل القاوقجي

الشهير بأبي المحاسن رضى الله عنه

(١٢٢٤–١٣٠٥هـ)

اعتنى به

موسى شومان الصديقي الشاذلي — عبد العزيز معروف

نصر السيد نصر طه

إشراف

أ.د/ عليّ جمعة

عضو هيئة كبار العلماء

وشيخ الطريقة الصِّديقيّة الشّاذليّة

التَّجَلِّيَاتُ الشَّاذِلِيَّة
فِي
شَرْحِ الصَّلَوَاتِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

ص: 24×17

عدد الصَّفحات: 109

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

مراجعة وتدقيق:

عبد العزيز معروف

موسى شومان الصديقي الشاذلي

نصر السيد نصر طه

الطَّبعة الأولى

1444هـ / 2022م

التصميم الطِّباعي والاخراج الفنى:

أمين أحمد زكريا

ط1 القاهرة

دار الوابل الصيب 2022م

مقدمة أ.د/ علي جمعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي مفتاح الخيرات، وسبب نزول البركات والرحمات، ولذلك حثَّنا الكتاب الكريم عليها، وأكَّدَ على فضلِها ومكانتِها؛ ببيان أنها حاصلة من رب الأرض والسماء، ومن الملائكة الكرام عليهم السلام؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :56] فهي تشريف قبل أن تكون تكليفا، وهذا سبب اهتمام السادة الصوفية بها في أذكارهم وأورادهم وأحزابهم؛ حيث وجدوا فيها بابا من أبواب القُرب، ودليلا من أدلة الحب؛ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول سيدي الإمام الرائد الحسيب النسيب محمد زكي الدين إبراهيم رضي الله عنه: "وقد انفرد كثير ممن اشتهروا بحبِّ رسول الله ﷺ بتأليف صيغ مختلفة المعاني والأبنية بين الشعر والنثر في الصلاة والسلام عليه، يعبرون بها عن مكنونات الذات، وتأجج الأشواق، والعروج في مدارج السالكين، ومعارج الواصلين، وجعلوها وسائل إلى الله سبحانه"[1]

ومن هذه الصيغ المباركات التي اشتهرت وعم فضلها، ورددها السادة أهل التصوف في مجالسهم، وأورادهم، وتضمنتها أذكارهم:

---

(1) فقه الصلوات والمدائح للشيخ محمد زكي الدين إبراهيم صـ26 ط.العشيرة المحمدية، الثالثة 2011م

أ) الصلاة المشيشية للقطب الغوث سيدي عبد السلام بن مشيش (559-626هـ).

ب) صلاة النور الذاتي لقطب الأقطاب وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار سيدي أبي الحسن الشاذلي - قدس الله سره - إمام الطريقة الشاذلية (593-656هـ).

ج) صلاة الفاتح لتاج العارفين سيدي محمد البكري الصديقي (899–952هـ).

وقـد

وقد عرض علي أبنائي : الدكتور موسى شومان، والشيخ عبد العزيز معروف، والشيخ نصر السيد، شرح سيدي المحدث العلامة شمس الدين محمد بن خليل الشهير بأبي المحاسن القاوقجي الشاذلي على هذه الصلوات المباركات. وقد قام الشيخ بشرح كل صلاة منها منفردة، فرأيت أن يخرج هذا في كتاب واحد، كي تعم الفائدة، ويكون بين يدي أبناء الطريقة الشاذلية خاصة، وكافة أبناء التصوف عامة، شرحا وافيا لهذه الصلوات المباركات، وفي الختام أسأل الله لهم دوام التوفيق.

أ.د/ عَلِيّ جُمُعَة
عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ
وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

مقدمة التحقيق

بسم الله الإلَه الأحَد، الْحقّ الْوَاحِد الْفرْد الصَّمَد، شَرَعَ الصَّلاةَ عَلَى حَبِيبِه وَمُصْطَفَاه، حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ، وَمَنْبَع الدقَائِقِ، الأحَديّ الثّانِي، النّبِيّ الْوَاحِدِ الْقَابِلِ لِكُلّ جَار، الْمُمِد لِكلّ جَائِزٍ، وأعْلَى قَدْرَ مَن اسْتَجَابَ وَصَلَّى، فَعَلَى قَلْبِه تنزَّلَ وَتَجَلَّى.

نَحْمَدُك رَبّنا ونشْكُرُكَ، وَنتُوبَ إلَيْكَ وَنسْتَغْفِرُكَ، أنْ نَقْتَحِمَ مَا لَيْسَ لنا إلا بِفَضْلِكَ وَتَوْفِيقَك، فَاقْبَلْنا أذْلاء عَلَى أعْتَابِك، خَاضِعين لِجَنَابِكَ، طَامِعين فِي رَحَمَاتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك بِكَافَةِ صَلَوَاتِ الأرْوَاح وَخَفِيّ الأسْرَارِ عَلَى سِرّ الأسْرَارِ وَمَنْبَع الأنْوَارِ، مَنْ ارْتَضَيْتَه وَشَرَّفْتَ قَدْرَه وَأعْلَيْتَ ذِكْرَه بِنِسْبَتِه إلَيْكَ، وإخوَانِه الأنْبِيَاء والْمُرْسَلِين، مَنْ مِنْ نُورِه مُسْتَمِدّين، وله مُبَشّرِين، وَعَلَى آلِهِ الأطْهَارِ، خَيْرِ الْوُرَّاث، وأصْحَابِه الأبْرَارِ، خِزَانَةِ الأسْرَار، وَوَرَثَةِ الأنْوَارِ أوْلِيَائِه الأحْرَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإحْسَانٍ إلَى يَوْمِ الْقَرَارِ.

أما بعد:

فلما كانت خدمة الجناب المحمدي من آكد الواجبات، وأهم المطلوبات، وأشرف الوسائل، وأفضل الشمائل ، أردنا أن ننتظم في سلك من فاز بهذا الفخر العظيم ، فقمنا بخدمة هذا الكتاب المبارك الجليل الذي يحتوي على شرح صلاة سيدي ابن مشيش وسماه الشارح" نفائس التفتيش" وصلاة النور الذاتي للقطب الشاذلي، وصلاة العارف البكري، وقد قام بشرحهم القطب الكبير والعلم الشهير شيخ الشاذلية سيدي أبي المحاسن القاوقجي قدس سره، وسميناه: التجليات الشاذلية في شرح صلوات على خير البرية.

والصلاةُ على النبي ﷺ فيها امتثال لأمره تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، وفيها ذِكْرُ الله، وفيها الإتيانُ بمقتضى الشهادتين، والإتيان ببعض حق سيدنا رسول الله ﷺ عليك، والتوسلُ به إلى الله، والقضاءُ لحاجاتك، وغيرُ ذلك من الفوائدِ التي لم يَقْدِر السابقون على حصرها، ولن يتمكن اللاحقون من الإحاطة بقدْرِها، فكلهم عاجزٌ أمامَه حيث تضاءلت الفهوم، فلم ولن يَدْرِكه سابقٌ ولا لاحق.

ولقد تنافس المتنافسون في حفظ ما ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ من صيغ الصلوات عليه ﷺ، بل وتوسعوا بفضل الله تعالى بما ألهمهم المولى جل شأنه من صيغ ممتدة الفوائد ومنتشرة الأثر، في كل عصر ومصر، من باب لا يُغْلَق إلى يوم الدين، مصداقا لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، بل واجتهد أهلُ الله في شرح ألفاظ الصيغ، وما استُغْلِق من معانيها، تقريبا للأفهام والأذهان، في غير بعد عن أحوال القلوب لأرباب الأحوال، رغبة في أن نعيش نبينا، ونحيا حبيبنا، بِنا لا بغيرنا، فلا نرى إلا الله في كل ما نراه.

ومن هذه الصيغ المباركات التي اعتادها أهل التصوف في مجالسهم، وأورادهم، وتضمنتها أذكارهم:

أ) الصلاة المشيشية للقطب الغوث سيدي عبد السلام بن مشيش (559-626هـ).

ب) صلاة النور الذاتي لقطب الأقطاب وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار سيدي أبي الحسن الشاذلي - قدس الله سره – إمام الطريقة الشاذلية (593-656هـ).

ج) صلاة الفاتح لتاج العارفين سيدي محمد البكري الصديقي (899–952هـ).

ولقد شمر أهل الله سواعدهم لشرح هذه الصلوات لشرفها وعلو قدرها، ومحاسن ألفاظها، ورقة كلماتها، فانتفع بها جُلَّ العباد، وفاضت أنوارها في سائر البلاد، فالتآليف

تَسمو بِسمو مراتب مُنْشِيها، وتعلو بعلو كمالاتِ قاصِيها ودانِيها، وكان شرح سيدنا شمس الدين محمد بن خليل بن إبراهيم المعروف بالقاوقجي الشهير بأبي المحاسن ﷺ (1224-1305هـ)، على هذه الصيغ من أمتع الشروحات التي تلقتها الأمة بالقبول.

وكان من فضل الله تعالى وتوفيقه إخراج هذه الصلوات بشرحها كما ورد نصُّها عند القاوقجي – وهي وإن اختلفت عن النص المحفوظ لدى البعض، فالأمانة تقتضي الالتزام بالرواية عن الشارح - فكانت نفحة وهدية وفيها إشارة لطيفة ندية بنشرها بعد الاعتناء بنصها محبة في سيدنا رسول الله ﷺ ومساهمة في انتشار هذه الصلوات، وشرحها، والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وقد اعتمدنا في إخراج هذا الشرح على نسخ خطية سيأتي توصيفها

ومما تجدر الإشارةُ في هذا الباب(1) :

1 - أن هذه الصلوات المباركات شأنها كشأن سائر الصلوات التي أنشأها العارفون وعباد الله الصالحون أنها من جملة ما يُفتح به عليهم مما يندرج تحت عمومات الشرع الشريف، فإن الشرع قد حث على الاهتمام بشأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله سلم، لا سيما وقد ورد الأمر بها في القرآن الكريم، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56] .

والقاعدة في الأذكار والأدعية أنها على السَعة لا على التضييق، فمتى أتى الإنسان بصيغة من صيغ الدعاء أو الذكر، ووافقت حقائق الدين، ومقاصد الشرع الشريف فلا بأس بها، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سمع من بعض الصحابة

(1) ينظر: بحث الدكتور مختار محسن: المنح العلية على الصلاة التازية، [سينشر قريبا ضمن مجموعة من الأبحاث حول قضايا في التصوف. وينظر أيضا ما كتبه الشيخ أبو محمد الهاروشي في كتابه الفتح المبين والدر الثمين للهاروشي بداية من صـ74 : 132 ط.دار جوامع الكلم 2008م

صيغا مختلفة للتلبية في الحج فلم ينكر منها إلا ما شابه شِرك [1]

2 - أن التجاربَ الرُّوحيةَ للمسلمين كافة تدخل تحت الجنس، بل والجنس القريب لما ورد في الشرع الشريف، وإن لم يَرِد بعضُها بخصوصِه، وهذا مما فيه سَعَةٌ، فالوقوف على الوارد – في هذا الباب - يكون بالنظر إلى الجنس لا بالنظر إلى الأفراد، أو بالنظر إلى الكليات لا الجزئيات، وهذا هو عين التمسك بمنهج النبوة. فالجنس هنا هو الكليُّ المقول في جواب ما هُوَ على كثيرين مختلفين، ومثاله الذِكْرُ، فهو جِنْسٌ تحتَه أنواع، والنوع هو الكلي المقول في جواب ما هُوَ على كثيرين متفقين، ومثاله الذكر بالقرآن، والذكر بالأسماء الحسنى، والذكر بالصلاة على سيدنا النبي ﷺ، والنوعُ تحتَه أفراد وهي الجزئيات أو الشخوص الخارجية مثل الصيغة الإبراهيمية في الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ حيث يَصْدُقُ عليه أنه صلاة على سيدنا النبي ﷺ ويصدق عليه أيضا أنه ذكر، فهو فرد من نوع من جنس.

أما عن منهجنا في العمل، فقد قمنا بما يلي:

1 - نسخ المخطوطات ، وقد وقفنا على نسخة واحدة من كل شرح كما سيأتي في التوصيف.

2 - طابقنا ما تم نسخه، ثم ضبطناه على وفق قواعد الإملاء.

3 - خرجنا الآيات والأحاديث ووثقنا النقول على قدر الطاقة.

4 - قمنا بالتعليق على بعض المواطن التي اكتنفها نوع من الغموض.

5 - ترجمنا للشارح، ثم أصحاب الصلوات ترجمة مختصرة.

---

(1) جاء في صحيح مسلم :كتاب الحج، باب حجة النبي ، الحديث 3009 عن سيدنا جعفر بن محمد عن أبيه أنه دخل على جابر بن عبد الله وسأله عن حجة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه :" فأهل بالتوحيد «لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك» وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

أولا: ترجمة الشارح[1]

اسمه ونسبه: هو السيد محمد بن خليل بن إبراهيم، شمس الدين أبو المحاسن القاوقجي، وينتهي نسبه بسيدنا الحسن ﵁، وكان سيدي أبو المحاسن يعزي نفسه أحيانا إلى سيدي ابن مشيش.

أما عن حسبه لأمه ، فينتهي إلى سيدنا عمر بن الخطاب فاروق الأمة.

مولده: ولد ﵁ ليلة الاثنين، ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة 1224هـ، وولد في بيت خاله الشيخ محمد عبد القادر الحامدي.

نشأته العلمية:

لما بلغ أربع سنين بدأ بتعلم القرآن، ولما بلغ عشر سنين أقبل على طلب العلم الشريف، واشتغل بالرياضة على طريقة القوم، ثم هاجر إلى الأزهر الشريف وله من العمر خمس عشرة سنة، فأقام في مصر سبعا وعشرين سنة، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وصار من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

ومن شيوخه:

- شيخ الإسلام في عصره سيدي برهان الدين إبراهيم الباجوري.
- الشيخ محمد بن أحمد الخليلي الحنفي.
- الشيخ محمد بن أحمد البهي.
- الشيخ العلامة محمد عابد السندي.
- الشيخ محمد صالح السباعي.

---

(1) اعتمدت في هذه الترجمة على: كتاب ترجمة قطب الواصلين وغوث السالكين ، لعبد القادر الأدهمي الطرابلسي، وهي ترجمة وافية لسيدي أبي المحاسن فهو تلميذه، والأعلام للزركلي 811/6.

- الشيخ أحمد الصعيدي العدوي.

وقد ذكر رضي الله في هذا الكتاب بعض مشايخه الذين تلقن وتربي على أيديهم في طريق الله.

مؤلفاته:

- ذكر الشيخ الطرابلسي كثيرا من مصنفاته، نذكر هنا بعضها
- تسهيل المسالك مختصر موطأ مالك.
- الذهب الإبريز على المعجم الوجيز.
- الإمدادت العلية على الأربعين النووية.
- غنية الطالبين فيما يجب من أحكام الدين
- الدر الصفي على عقيدة النسفي.
- المقاصد السنية في آداب الصوفية.
- تحفة الملوك في السير والسلوك.
- شوارق الأنوار الجلية، وهو الكتاب الذي ننشره الآن.
- قواعد التحقيق في أصول أهل الطريق.
- خلاصة الزهر على حزب البحر.
- البدر المنير شرح الحزب الكبير.

وغير ذلك من المصنفات الكثيرة.

توفي: ثاني محرم، سنة 1306هـ.

ثانيا ترجمة سيدنا عبد السلام بن مشيش[1]

نسبه :

هو القطب الأكبر والعلم الأشهر سيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش، بالميم وقيل بالباء، ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

ولد رضي الله عنه في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري في المغرب الأقصى بمحلة جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، أما تاريخ ولادته، فقد قيل سنة 559هـ وقيل سنة 563هـ تزوّج من ابنة عمه يونس وأنجب منها أربعة ذكور هم: محمد وأحمد وعلي وعبد الصمد وبنتا سماها فاطمة.

نبذة عن حياته: قضى عمره في العبادة، وكان رضي الله عنه في العلم الغاية، وفي الزهد النهاية، جمع الله له بين الشرفين، الطيني- الدوحة النبوية-،والديني، وأحرز الفضل المحقق اليقيني.

يقول ابن كوهن: كان علاوة على علو همته وحاله: عالما فاضلا جليل القدر، لا يخرف عن جادة الشريعة قيد شعرة، متحمسا للدين، عاملا على نشر فضائله.

وكان كثير السياحة رضي الله عنه، إلى أن قابل الشيخ عبد الرحمن بن الحسين المدني الزيات، وهو الذي قال له: أنا شيخك منذ أن كنت ابن سبع سنين، وكل ما يصلك من النازلات فهو مني، وهي كذا وكذا، وحدثه بجميع ما جرى له من الأمور.

---

(1) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: (263/2)، ومرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (253)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: (108/4)، والطبقات الكبرى للشعراني: (6/2)، الأعلام للزركلي: (9/4)، والقطب الشهيد عبد السلام بن مشيش لشيخ الإسلام عبد الحليم محمود.

وذكر شيخ الإسلام عبد الحليم محمود أن من عظيم كراماته ﷺ، تربيته لسيدي أبي الحسن الشاذلي ، وفي هذا يقرر أحد الأكابر قائلا:" ولما أخفاه الله في عالم الشهود ، جعل تلميذه بدلا عنه في عالم الظهور العياني، فكان التعريف بالتلميذ شرحا لخاصية الأستاذ في الحقيقة، ولا سبيل إلى تصورها للتصديق بها إلا من تلك الطريق، إذ لم يثبت أن أحدا لقيه سواه، أو لأحد حديثا في حقه غيره رواه".

ومن بديع ما نقله عنه سيدي أبو الحسن الشاذلي:

"كنت في سياحتي فأتيت إلى غارٍ لأبيت فيه فسمعت فيه حسَّ رجل فقلت: والله لا أشوّشُ عليه فى هذه الليلة، فبتُّ على فم الغار، فلما كان عند السحر سمعته يقول: اللهم إن أقواما سألوك أن تسخِّر لهم قلوب خلقك، اللهم إني أسألك إعراضَهم عنى، حتى لا يكون لى ملجأٌ إلا إليك. قال: ثم خرج. فإذا هو أستاذي ابن مشيش.

وأوصى سيدي ابن مشيش سيدي أبو الحسن قائلا:

لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبًا من معصية الله، ولا تجالس إلا من تستعين به فى طاعة الله، ولا تصْطَفِ لنفسك إلا من تزداد منه يقينًا بالله.

توفي شهيدا:

سنة اثنتين وعشرين وستمائة توفي الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش ﷺ، وقيل فيما بعد إلى سنة خمس وعشرين، وتوفي ﷺ شهيدا بجبل العلم من جبال غُمَارَةَ، وقبره هناك مشهور من أعظم مزارات المغرب، فاللهم انفعنا به، وحققنا بمعارفه.

ثالثا: ترجمة القطب الشاذلي (١)

هو: شيخ الطريقة الشاذلية، وأصلُ مددها، وعنصر مشربها، وقطب دائرتها الذي تدور عليه، وهو السيد الأجَلُّ الكبير سيدنا وسَندُنا ومولانا القطب الرباني العارف الوارث المحقق بالعلم الصَّمداني.

السيد الأجل المرّبي الكامل أبو الحسن سيدي عليٌّ الشاذلي الحسني بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس المُبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

مولده: ولد بغمارة، ودخل مدينة تونس وهو صغير، وتوجه إلى الديار المصرية، وحج حجات كثيرة.

لم يدخل طريق القوم حتى كان يعدُّ للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهدَ له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية.

جاء رضي الله عنه في هذه الطريقة بالعجب العُجاب، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، رضي الله عنه يقول: ما رأيتُ أعرفَ بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

توفي رضي الله عنه: في صحراء عيذاب، وادي حميثرة سنة ست وخمسين وستمائه، وهو ابن ثلاث وستين سنة أو نحوها رضي الله عنه، ومقامه شهير يزار، وفيه بركات وأنوار.

(1) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: (263/2)، ومرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (253)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: (108/4)، والطبقات الكبرى للشعراني: (6/2)، الأعلام للزركلي: (9/4)، والقطب الشهيد عبد السلام بن مشيش لشيخ الإسلام عبد الحليم محمود.

رابعا: ترجمة العارف البكري[1]:

هو: تاج العارفين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي ٨٩٩هـ-٩٥٢هـ، عالم مسلم مصري ولد بالقاهرة ونشأ بها وكان يقيم عاماً بمصر وعاماً بمكة. هو مفسر ومحدث ومتصوّف وناظم ومن علماء الشافعية في عصره. أخذ علوم والتصوف عن جماعة من الأعيان منهم زكريا السنيكي الأنصاري وبرهان الدين بن أبي شريف. اشتهر وصار يلقي في الجامع الأزهر

خامسا: توصيف النسخ

اعتمدنا على نسخة وحيدة لكل رسالة، أهدانا إياها الأستاذ الدكتور عبد الله أديب القاوقجي، رضي الله عنه.

اسم الناسخ : طارق صابر سرحان. وذلك بإذن من القطب الكبير سيدي محمد سعد بدران رضي الله عنه، وفي شرح صلاة البكري إجازة من سيدنا الشيخ محمد سعد بدران للسيد طارق سرحان.

تاريخ النسخ

شرح المشيشية : ليلة الثلاثاء 23 من رجب 1412هـ/ 28 من يناير 1992م، هذه النسخة من نسخة مخطوطة بخط سيدي وإمامي فضيلة الشيخ محمد سعد بدران والذي نقلها يوم الثلاثاء 2 صفر 1356ه الموافق 13 ابريل 1937م.

صلاة النور الذاتي: يوم الاربعاء 24 من رجب 1412هـ 29 من يناير 1992م.

صلاة البكري : يوم الخميس 25 من رجب 1412هـ - 30 من يناير 1992م.

وهو من هو، إضافة إلى أنه حامل لواء الطريقة القاوقجية.

توصيف النسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن أطلع بدور الكمال الالهي من بروج
الجمال الزاهي. فاستضاء به أهل العناية الخصوصية
والصلاة والسلام على سماء ساذج الذات الاحاطية
الوجود ونقطة دائرة الكمال الالهي في الغيب
والشهود سيدنا ومولانا محمد مظهر العظمة
الذاتية وجمعية عيون الحقائق الرحموتية وعلى آله
وأصحابه وأنصاره المقتبسين من أشعة أنواره
مالمع برق التقريب. وهام المحب بذكر الحبيب
أما بعد فيقول راجي ألطاف مولاه الخفية. محمد
المنسوب للعصابة المشيشية الحسنية المشهور
بالقاوقجي بين البرية. أتحفه الله وأحبابه
باشراق أنواره القدسية وكفاهم كل سوء وبلية
لما كانت الصلاة الشاذلية تعدل مائة ألف صلاة
من غيرها على السوية ولا مانع من ذلك عند العارفين
فقد ثبت التضعيف في تلاوة آيات وسور من الكتاب
المبين. وتمنح صاحبها الفيوضات المحمدية
وفيها كشف الكروب لمن تلاها خمسمائة بكرة وعشية
وضعت عليها شرحا لطيفا أبين فيه بعض معاني
غوامض ألفاظها الشهية. ليأذا بمن منحه الله
من لدنه الحرمه. وجهد مقل في التثبت بما يوصل

وهنا وقف القلم. حامدا شاكرا
للنعم. مصليا مسلما على منبع الجود
والكرم. سيدنا محمد وآله وصحبه
والتابعين لهم إلى يوم يبعثون
صلى الله وسلم عليهم
كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون

تم بحمد الله وتوفيقه بخط الفقير المذكور
يوم الأربعاء ٢٤ من رجب ١٤١٢هـ . ٢٩ من يناير ١٩٩٢م

صلاة البكري

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمدك يا من شرحت بأنوار الهداية صدورنا
ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي نورت بالصلاة
عليه قلوبنا. وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأحبابه
وبعد. فيقول العبد الذليل. الراجي لطف مولاه
الجميل. أبو المحاسن محمد القاوقجي ابن خليل
عامله الله وأحبابه بلطائف احسانه. وأفاض
عليه وعليهم شآبيب رضوانه.
هذا شرح لطيف وضعته لحل ألفاظ صلاة
العارف محمد البكري. قدس الله أسراره وصفه
العطري.
وقد حكى بعضهم عنه أن من صلى بها مرة واحدة في عمره
لا يدخل النار.
وقال شيخنا سيدي أحمد التيجاني
أنها نزلت عليه في صحيفة من الله. وأن قراءتها
مرة تعدل ثواب ست ختمات قرآنية. قال والنبي
أخبرني بذلك.
قال العلامة الصاوي في شرح صلوات شيخنا الدردير
وهذا القول إن صح يجب تأويله. ومن جملة
التأويل ما يقال. إن هذا بحسب ما فتح له
أي أن صلاتك مرة تعدل ست ختمات بغيرك

وجاء بأسرار الجميع مفيضها
فلبينا لهم ختماً على خير فترة
وما منهم إلا وقد كان داعياً
به قومه للحق عن تبعية
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره
أي منتهى رتبته ومقامه العظيم وصف كاشف
وفي رواية إسقاط صلى الله عليه وسلم وفي أخرى
وعلى آله وصحبه وسلم.
وهذا آخر ما ألهمني الله ببيانه سائلاً منه القبول
بفضله وإحسانه والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً
وباطناً وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وأصحابه والتابعين إلى يوم
يبعثون كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون

تم بحمد الله وعونه نقل هذا الكتاب بخط الفقير إلى الله الرحمن
طارق صابر سرحان خادم تراب أقدام السادة الشاذلية وذلك بإذن
من سيدي ولي الله الكامل فضيلة الشيخ محمد محمد عبد رازق
وذلك يوم الخميس ٢٥ من رجب ١٤١٢هـ ٣٠ من يناير ١٩٩٢م
ولقد أجزت بهذه الشروح والمتون ولدي البار المهذب الصالح

صلاة النور الذاتي

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين. أما بعد
أحمد الله على ما أفاض من بحر الحقائق المحمدية. والصلاة
والسلام على سيدنا محمد مظهر التجليات الذاتية. وعلى آله
وأصحابه ما هبت رياح الصفاء من الساحة العرشية. على رياض
قلوب أهل الوفاء فتفتقت أكمام أسرار الكمالات الأحمدية
فيقول العبد الذليل. أبو المحاسن محمد القاوقجي بن خليل
عامله الله وأحبابه بلطفه الجميل وأفاض عليهم بحر جوده الجزيل
هذا شرح لطيف على صلاة القطب الكبير. والعلم الشهير. ذي
الفيض والسر والتعريش. أبي محمد مولاي عبد السلام بن
بشيش. بالباء الموحدة من البشاشة وهي طلاقة الوجه وانفتاشه
واشتهر بمشيش بالميم من باب ابدال الحرف بأخيه وهو شائع
لدى المحقق الفهيم. وينسب إلى سيدنا الحسن. توالت عليه
سحائب المواهب والمنن. وأسراره لا تحصى. وفيوضاته
لا تستقصى. ومن خصائصه أنه لا يقف على قبره شقي.
ولا يلازم صلاته إلا من بالمحبة حيي وسقي. مات شهيدا سنة
اثنين وعشرين وستمائة. وقبره في جبل وزان مشهور يعلوه
المهابة والجلالة والنور والأشجار نحوه ساجدة. والأنوار
والأسرار متزايدة. وقد نفع الله بصلاته جل العباد.
وأفاض أنوارها في سائر البلاد. والتآليف تسمو بسمو
مراتب منشيها وتعلو بعلو كمالات معانيها ودانيها

الأحباب سيدنا محمد ومولانا النور
المبين . وعلى جميع الأنبياء والمرسلين
وآلهم وصحبهم إلى يوم يبعثون
كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه نقل هذا الشرح بخط
الفقير الحقير الراجي عفو ربه المنان
طارق صابر سرحان
خادم تراب أقدام السادة الشاذلية .
وذلك بإذن من سيدي وإمامي امام أهل
العرفان فضيلة الشيخ / محمد سعد بدران
وذلك ليلة الثلاثاء
٢٢ من رجب ١٤١٢هـ
٢٨ من يناير ١٩٩٢م
وقد نقلت هذه النسخة من نسخة مخطوطة بخط سيدي وإمامي
فضيلة الشيخ / محمد سعد بدران والذى نقلها يوم الثلاثاء ٢ صفر ١٣٤٥هـ
الموافق ١٢ أبريل ١٩٢٧م

الصلاة المشيشية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ، وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الْخَلائِقَ، وَلَه تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ، فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ، وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ، وَلَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ، إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ، صَلَاةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ. اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ، وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ. اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ، وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ، وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ، وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ، وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ، وَاقْذِفْ بِي عَلَى الْبَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ، وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الْأَحَدِيَّةِ، وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ، وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ، حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعَ وَلَا أَجِدَ وَلَا أُحِسَّ إِلَّا بِهَا. وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ. يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ، يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ: اسْمَعْ نِدَائِي بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا، وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ، وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ، اللهُ اللهُ اللهُ، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الصلاة الشاذلية

{اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النُّورِ الذَّاتِيِّ وَالسِّرِّ السَّارِي فِي سَائِرِ الأَسْمَاء وَالصِفَاتِ}

صلاة الفاتح

{اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ النَّاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ}

هذا كتاب نفائس التفتيش في شرح صلاة ابن مشيش

وشرح صلاة الشاذلي وشرح صلاة سيدي محمد البكري

لخاتمة المحدثين وقدوة الأولياء المحققين السيد

محمد القاوقجي المشهور بأبي المحاسن

سقانا الله من محبّته شراباً غير آسن[1]، آمين

(1) الماء الآسن هو الذي تغير طعمه.

الجزء الأول

شرح الصلاة المشيشية

قال الشارح قدس الله سره[1]:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، وَبِهِ نَسْتَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا أَفَاضَ من بحرِ الحقائقِ المحمدية، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد مَظْهَرِ التجلياتِ الذاتيةِ، وعلى آله وأصحابه ما هبت رياحُ الصفاء من الساحة العرشية على رياض قلوب أهل الوفاء ففتّقَت أكمامَ أسرارِ الكمالات الأحمدية[2].

فيقولُ العبدُ الذليل، أبو المحاسنِ محمدُ القَاوقجي بن خليلٍ، عَامَلَهُ اللهُ وأحبابَه بلطفه الجميل، وأفاضَ عليهم بحرَ جودِه الجزيلِ، هذا شرحٌ لطيفٌ على صلاةِ القطبِ الكبير، والعلَمِ الشهيرِ، ذي الفيضِ والسِّرِ والتَّعْرِيش، أبي محمد مولاي عبد السلام بن بشيش، بالباء الموحَدَّةِ من البشاشة وهي طلاقة الوجه وانتعاشه. واشتُهر بمشيش بالميم من باب إبدال الحرف بأخيه، وهو شائع لدى المحققِ الفهيمِ[3]، ويُنْسَبُ إلى

---

(1) أبو المحاسنِ محمدُ القاوقجي.

(2) فَتَقَ: شَقَّ، وفَصَلَ – أكمام: كَمَّمَتِ الشيءَ: ستره أو سَدَّه – والأحمدية هي الرسالة، والمحمدية هي النبوة، والنبوة أصلها الأحدية، فمحمد زيادة حمد في الكمية، وأحمد زيادة في الكيفية. ويقول الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني: (يحتمل معنى أحمد أنه من أحمد الحامدين لربه، وأحمديته للرب أكثر من كل حمد يصدر في العالم، لأن الثناء يكون بحسب الاطلاع على الكمالات والمحامد، ولا اطلاع أوسع من الحقيقة المحمدية، ولا انفساح أفسح من انكشافها، فالحقيقة المحمدية سابقة بعينها على الأحمدية، لأن محمد عبارة عن كثرة حمد الغير له ولما كثر حمد الغير له قام به وصف فاستحق أن يشتق له منه إسم فقيل (محمد).

(3) وهو باب إبدال الميم من الباء الموحدة، ومنه قولهم: بنات مخر وهي سحائب بيض تأتي قبل الصّيف، والأصل بنات بخر من البخار، فأبدلوا من باء بخر ميما. يراجع: شرح المفصل لابن يعيش (386/5).

سيدنا الحسن عليه السلام توالت عليه سحائبُ المواهبِ والمننِ، وأسرارُه لا تحصى، وفيوضاتُه لا تُسْتَقْصَى، ومن خصائصه أنه لا يقف على قبره شَقِيّ ولا يلازم صلاته إلا من بالمحبة حُبِيَ وسُقِي(1).

مات شهيداً سنة 622هـ اثنتين وعشرين وستمائة(2)، وقبرُه في جبلِ وزَّان(3)، مشهورٌ يعلوه المهابةُ والجلالة والنورُ، والأشجارُ لنحوه ساجدةٌ، والأنوارُ والأسرار متزايدةٌ، وقد نفع الله بصلاته جُلَّ العباد، وأفاض أنوارَهَا في سائر البلاد، والتآليف تسمو بسمو مراتب مُنْشِيها، وتعلو بعلو كمالاتِ قاصِيها ودانِيها.

واعلم أن كلامَ الأكابرِ الأفرادِ أهلِ الدوائرِ الكبرى وعُرَفَاء الأفرادِ لا يمكن شرحُه إلا من بعضِ وجوهِه السافرةِ(4) دون الغريبةِ المتوحشةِ النافرةِ، سيما مع تشعب الحقائق وتداخل الإشارات والرقائق، فلم يبق لمن يريد قط نفع المراحل، إلا الوقوف على شط بحر الكلام، وترك ما شط عن الساحل، وما شرح شارح كلام غيرِه من أهل الرسوخ إلا على قدر طوْقِه وذوْقه، لا على ذوق أولئك الشيوخ، ولا يُعبِّرُ مُعبِّرٌ عن مراد الغير، إلا إنْ أشرفَ على مقامِه أو تخطاه في السيرِ. والكلامُ يتسع لسعة المتكلِّمِ والمتكلَّمِ فيه، وبحسب ظواهره وخوافِيه، ولهذا اتسعت دائرة القرآن العظيم حتى تاه فيه عُوَّامُ بحره الخضيم.

وهذه الصلواتُ وُسِمَت بـ"الفتح القريبِ"، وفاض من بحر سرِّها كلُّ سرِّ

(1) الحِبَاءُ : ما يحبو به الرجُلُ صاحبه ويُكرمه به، والسقي معلوم.

(2) المتن به (اثنين وعشرين وستمائة) والصواب ما أثبتناه (سنة اثنتين وعشرين وستمائة).

(3) وَزَّان مدينة تقع في الشمال الغربي من المغرب، في مقدمة جبال الريف جنوب واد لوكوس. وهي عاصمة إقليم وزان، جهة طنجة تطوان الحسيمة.

(4) السَّفْرُ: كشف الغطاء، ويقال: سفرت المرأة، إذا كشفت وجهها. (تاج العروس: 41/12). ومراد الشيخ: بعض وجوهه الواضحة.

غريبٍ، وقد تكلم فيها جماعةٌ من عيون الأعيانِ الذين هم بمنزلة الإنسانِ للعين[1]، والعينِ للإنسانِ. وممن اغترف من بحرِها العذبِ القاذفِ لجواهرِ أسرارِ المعارفِ سيدي مصطفى البكري العارف[2].

وقد تطفلتُ على ذلك وزاحمتُهم محبةً وشوقاً، لا أني شرِبْتُ من مشارِبِهم ولا ذُقْتُها ذَوْقًا، بل شأنُ المحبةِ: تدعو إلى الانكباب، وانسحبت الرحمة على كلب أهل الكهف لمَّا تبِعَ الأنجابَ، فالكريمُ يقبل الاعتذار، واللئيم شأنُه كشفُ الأستارِ، فإذا رأيت خللاً أو شاهدت بِحَسْبِ قصور العبارة زَللاً، فَسُدّ الخلل، وأصلحْ الزللَ، وادخل في ميادين التأويل يا فهيم، أو قُلْ بلسانِ التسليم، وفوق كل ذي علمٍ عليم. ولقد سميتُه (نَفَائِس التَّفْتِيشِ فِي شَرْح صَلاةِ ابْنِ مَشِيشٍ)، ويُسَمَّى بـ"المنح العجيب على الفتح القريب".

وأسأل اللهَ الكريم بوجاهَةِ وَجْهِهِ العظيمِ أن يفتح لمن تَلَقَّاهُ بالمحبةِ والقبولِ، بابَ المعارفِ والإرشادِ والوصولِ، ويَسْتُرَ هفواتِنا فيه عند عَرْضِه على حضرة نبيه المصطفى، ويُحِلَّهُ أعلى منازلِ الاصطفا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابةِ جدير.

قال المؤلف قدس الله روحه وحبانا غُبوقَه وصُبوحَه[3]:

---

(1) إنسان العين هو الحدقة؛ الفتحة التي يمرّ فيها الضَّوء إلى داخل العين، وتتَّسع وتضيق تبعًا لشدّة الضَّوء، ولا ترى العينُ إلا بها عادة. والإنسان الآخر هو الحيوان الناطق أي بني آدم. ومنزلة العين للإنسان سماها الله تعالى على لسان نبيه حبيبته. ومن هنا قال السادة (اللهم صل على إنسان عين الحضرة القدسية)، وإمام الحضرة القدسية هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ ويسمونه (إنسان عين الحضرة القدسية)، ومن هنا جاءت صيغة الصلاة عليه ﷺ: "وإنسان العين" هو المسئول عن الرؤية، وهنا إذا لم ير المرءُ سيدَنا رسول الله ﷺ فهو أعمى، ولن يدري ماذا يفعل، لأن لا بد له من إمام له.

(2) ومن ثم فلقد اشتمل الكثير من شرح القاوقجي على نقول من سيدي البكري.

(3) غبَقَ يغبِق، غَبْقًا، فهو غَابِق، والمفعول مَغْبوق. غبَق الضّيفَ: سقاه غَبُوقًا، وهو ما يُشرب بالعشيّ، واغتبق الرَّجلُ شرِب الغبوقَ، وهو ما يُشرب في العشيّ، ولقيته ذا غبوق وذا صبوح أي بالغداة والعشي، لا يستعملان إلا ظرفا. انظر: لسان العرب (282/10).

[اللَّهُمَّ صَلِّ] لَمَّا عَلِمَ المؤلفُ أن السَّيِّدَ الْعَظِيمَ لا يَعْلَمُ الصَّلاةَ الَّتِي تَلِيقُ بِجَنَابِهِ الْعَظِيمِ إِلَّا خَلَّاقُه العظيم، فوض ذلك إليه وطلب أن يقومَ تعالى عنه بالصلاة عليه، فقال (اللَّهُمَّ صَلِّ) اعترافاً بالعجز عن أداء حقه ﷺ، ومعنى اللهم (يا الله) فالميم عِوض عن الياء لا يجتمعان إلا شذوذاً كما قال ابن مالك:

والأكثرُ اللهمَّ بِالتعويضِ . . . وشَذَّ ياللهمَّ في قَريضِ

وقول الشاعر[1]:

إني إذا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا . . . أقولُ ياللهمَّ ياللهمَّ

وأَصْلُ الصلاةِ الانعطافُ والانحناءُ، مأخوذ من الصَّلْوَيَيْن وهما عرقانِ ينحنيان في الظهر إلى الفِخذين، ثم سَمُّوا الرحمة حُنواً وصلاةً إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك صَلِّ على محمد أبلغ من ارحم محمداً، فالحنو والعطف والصلاة في المحسوسات، ثم عبر عن هذا المعنى على وجه المبالغة والتأكيد[2].

قال الشاعر[3]:

فَمَا زِلْتُ في لِينِي لَهُ وَتَعَطُّفِي . . . عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الأمُ

ومنه "صليتُ على الميت" أي دعوتُ له دعاءَ من يتعطفُ عليه، وعلى هذا فينبغي أن تكون الصلاةُ في حقه تعالى عبارة عن المبالغة في الإحسان[4].

(1) نسبه في الحماسة البصرية إلى أبي خراش الهذلي. (الحماسة البصرية 431/2).

(2) انظر: لسان العرب (465/14).

(3) من قصيدةٍ لمعن بن أوس رضي الله عنه، مطلعها: وذي رحم قلمت أظفار ظعنه. انظر: آمالي القالي (102/2).

(4) الصلاة العطف فإن كانت من أعلى إلى أدني فهي رحمةٌ، وهنا في هذا المقام هي رحمةٌ مقرونة بالتعظيم. وإن كانت من أدنى إلى أعلى فهي دعاء، وهذا هو حالنا.

وقولهم إن عَلَى للمضرة محلُه إذا وقع في محلٍ قابل لِلّام، كقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].[1] وأما عنوان الصلاة فهو نظير قوله تعالى ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: 84].

عَلَى مَنْ مِنْهُ: أي عَلَى الذي مِنْ ضياء شمسِ وُجُودِه ونُورِ قمرِ ورُودِه، أو مِنْ ذاتِه اللطيفة وصفاتِه الشريفة، وأراد به المبعوث رحمة للعالمين، سيدَّنا محمدًا أفضلَ خلق الله أجمعين، وعبر عنه بِـ (مَنْ) لسرٍ تدركه أهل الفطن.

ولما كان ﷺ أُسُّ الوجودِ وأصلَ دائرةِ الشهودِ [انْشَقَّتْ[منه [الأَسْرَارُ[أي انفتق رَتْقُ جيوبِها، وارتتق فتقُ غيوبِها[2]، وانفتح بابُها المغلَقُ، واتضح خَفِيُّ سرِّها المُغْلَقُ.

والأسرار جمع سر وهو ما يُكْتَمُ، وكل ما استتر عن العيون فكادَ لا يُفهم، وخالصُ كل شيء وأصلُه وجوف كُلُّ شيء ولبُّه[3]. وتنقسم الأسرار إلى ذاتية وإلى صفاتية أسمائية وأفعالية.

قال العارفُ مصطفى البكري: السر في الاصطلاح على ما ذكره سيدي محيي الدين يُطْلق فيقال: (سرُّ العِلْم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة بإزاء ما تقع به الإشارة من الروح)[4] ا هـ.

---

(1) انظر: شرح التصريح على التوضيح (477/2).

(2) (انفتق رَتْقُ جيوبها، وارتتق فتق غيوبها): اِنفَتَقَ: اِنْشَقَّ وانكشف، رَتَقَ فَتْقَهُ: أَصْلَحَ شَأْنَهُ، وارتتق فتق: أصلح الخلل، وفَصَلَ. ويحتمل أن يكون مراد الشارح بالفتقِ (الظهور أو الشهادة) أي إذن الله بعلم ما يُعْلَمُ من هذه الحقيقة المحمدية.

(3) ويحتمل أن يكون مرادُه أن السرَّ يُطلق بالاشتراك على هذين المعنيين، وهما المستور المكتوم، والخلاصة واللب والجوف، وليس ببعيد، فليس كل سر مكتوما فسيدنا رسول الله ﷺ سرُّ الوجودِ أي خلاصته والمقصود منه ومع ذلك ظاهر.

(4) الفتوحات المكية (210/3).

والمراد اتضح به ﷺ ما كان خفياً. ومنه **[انْفَلَقَتْ]** أي ظهرت **[الأَنْوَارُ]**، وانفتح بابُها وانشق نِقَابُها لأنه المَطْلَعُ الفائق فكل نور ظهر فمن نوره[1]، كما جاء في الحديث[2]:

«يا جابر إن الله خَلَقَ قبل الأشياء نورَ نبيك من نوره ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ وَخَلَقَ بَعْدَهُ كُلَّ شَرٍّ، فَحِينَ خَلَقَهُ أَقَامَهُ قُدَّامَهُ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

فَخَلَقَ الْعَرْشَ مِنْ قِسْمٍ، وَالْكُرْسِيَّ مِنْ قِسْمٍ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ وَخَزَنَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ قِسْمٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْحُبِّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

فَخَلَقَ الْقَلَمَ مِنْ قِسْمٍ، وَالرُّوحَ مِنْ قِسْمٍ، وَالْجَنَّةَ مِنْ قِسْمٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْخَوْفِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ:

فَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ جُزْءٍ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ مِنْ جُزْءٍ، وَخَلَقَ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ مِنْ جُزْءٍ، وَأَقَامَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الرَّجَاء اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ:

فَخَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ جُزْءٍ، وَالْحِلْمَ وَالْعِلْمَ مِنْ جُزْءٍ، وَالْعِصْمَةَ وَالتَّوْفِيقَ مِنْ جُزْءٍ، وَأَقَامَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْحَيَاء اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ،

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ فَتَرَشَّحَ ذَلِكَ النُّورُ عَرَقًا، فَقُطِرَتْ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَأَرْبَعَةُ آلَافِ قَطْرَةٍ فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ رُوحَ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ،

ثُمَّ تَنَفَّسَتْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاء فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ نُورَ أَرْوَاح الْأَوْلِيَاء وَالسُّعَدَاء

---

(1) فالأنوار هي الظهور، فظهرت المكوَّنات، فهو ﷺ الأول نسبة إلى الأكوان، فهو {النُّورُ الذَّاتِي مِرْآةُ الْحَقِّ للأَكْوَانِ}، فالكون أصله ظلمة أي عدم، والأنوار هي المُظْهِرة للأكوان، فلزم أن تكون مشعة نابعة مِنْ ذَاتِهِ ﷺ عَلَى عَالَمِ الكَوْنِ.

(2) الحديث لا يثبت، ولسيدنا عبد الله بن الصديق الغماري بحث طيب حول هذا الحديث.

وَالشُّهَدَاء وَالْمُطِيعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

فَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مِنْ نُورِي ، وَالْكَرُوبِيُّونَ وَالرُّوحَانِيُّونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورِي ، وَمَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مِنْ نُورِي ، وَالْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ نُورِي ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوَاكِبُ مِنْ نُورِي ، وَالْعَقْلُ وَالْعِلْمُ وَالتَّوْفِيقُ مِنْ نُورِي ، وَأَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ نُورِي ، وَالشُّهَدَاءُ وَالسُّعَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ مِنْ نَتَائِجِ نُورِي،

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ اثْنَيْ عَشَرَ حِجَابًا فَأَقَامَ النُّورَ وَهُوَ الْجُزْءُ الرَّابِعُ فِي كُلِّ حِجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ وَهِيَ مَقَامَاتُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَهِيَ حِجَابُ الْكَرَامَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالصَّبْرِ وَالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ، فَعَبَدَ اللَّهُ ذَلِكَ النُّورَ فِي كُلِّ حِجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ النُّورُ مِنَ الْحُجُبِ رَكَّبَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَكَانَ يُضِيءُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَالسِّرَاجِ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَكَّبَ فِيهِ النُّورَ فِي جَبِينِهِ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى شِيثٍ وَلَدِهِ ، وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ طَاهِرٍ إِلَى طَيِّبٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَمِنْهُ إِلَى زَوْجِهِ أُمِّي آمِنَةَ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى الدُّنْيَا فَجَعَلَنِي سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ هَكَذَا كَانَ بَدْءُ خَلْقِ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ»[1] **اهـ.**

ذكره السعدُ التفتازاني في شرح "البردة" عند قوله[2]:

وَكُلُّ آيٍ أتى الرسلُ الْكِرامُ بهَا . . فَإنَّمَا اتصلَت مِنْ نُورِهِ بهِمِ

---

(1) مثل هذا الخبر لا يعتمد عليه بخصوصه في مثل هذا الباب (باب العقائد)، إلا أنه لا يلزم من بطلان الدليل بطلان المدلول، فالمعنى صحيح تشهد له الأثار الصحيحة المروية.

(2) الإمام سعد الدين التَّفْتَازَانِي (722هـ - 792هـ)، عالم مسلم، وفقيه متكلم، وأصولي نحوي، شرح البردة الشريفة للبوصيري.

ولقد أجاد بعض مُخَمِّسِي "الهمزية"[1]، حيث قال:

كُنتَ نُوراً وكَانَ ثَمَّ عَماءُ . . . وَنَبِيّاً وليس طِينٌ وَماءُ

وإذا كانَ مِن عُلاكَ العَلاءُ

كيفَ تَرقى رُقِيَّكَ الأنبياءُ . . . يا سماءً ما طاوَلَتها سماءُ

ولك الكون منه إذ كنت فتحًا . . . ثم ختماً له ولم تأل نُصْحَا

وإذَا الأنبياءُ سَاوَوكَ مَدحَا

لَم يُساوُوكَ في عُلاكَ وقَد حَا . . . لَ سَنىً مِنكَ دُونَهُم وَسَنَاءُ

والأنوار على أقسام لدى أهل الكشف والأفهام: أنوار ذاتية، وأنوار طبيعية، وأنوار إلهية، وأنوار رُوحانية، وأنوار عُلوية، وأنوار سفلية، وغير ذلك من الأنواع السنية، حتى لكل اسم نور كما لكل وصف نور،

وتجليات الحق كثيرة، ولكل تجل أنوار منيرة، وكلها مفاضة من النور الأول وحقيقة الآخر والأول، والمكنَّى عنه بالقلم الأعلى والعقل الأول.

حتى ذكر عبد العزيز الدباغ أنه في كل عام يفاض من قبره عليه الصلاة والسلام، نور بل أنوار تعم النباتات والأشجار فَتَفْتِقَه بالأزهار، وتكتسب الروائح الطيبة بقدر ما قُسِمَ لها من تلك الأنوار و (أل) في الأنوار والأسرار للاستغراق، كما اختاره

(1) وهو الشاعر حمدون بن الحاج السلمي (ت1232هـ). أديب فقيه مالكيّ، من أهل فاس، عرّفه السلاوي بالأديب البالغ، صاحب التآليف الحسنة والخطب النافعة. له كتب منها (حاشية على تفسير أبي السعود)، و(تفسير سورة الفرقان)، و(منظومة في السيرة) على نهج البردة، في أربعة آلاف بيت، وشرحها في خمس مجلدات، وغير ذلك.

أهل الأذواق[1]، وتعبير المصنّف قُدِّس سرُّه أولاً بـ (انْشَقَّتْ) وثانياً بـ (انْفَلَقَتْ) تفنُّنٌ دفعاً للثقل، كما نَهَلَ ذلك مَن نَهَلَ، و (مِن) إما بمعنى الباء أو ابتدائية[2]، واختار بعضهم أنها تعليلية، أي انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار من أجل وجوده ﷺ.

[وَفِيهِ] أي في ظهوره عليه الصلاة والسلام من حضرة الغيب إلى حضرة العين، وتعيُّنِه الأولِ الذي خَصَّه به مُمِدُّ كلِّ عينٍ، وجَعْلِه نورَ عين كل عين، وكما أشار إليه سيدي علي وفا بقوله:

عِيسَى وَآدَمُ والصُّدُورُ جَمِيعُهُمْ ∴ هُمْ أَعْيُنٌ هُوَ نُورُهَا لَمَّا وَرَدْ[3]

لَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ طَلْعَةَ نُورِهِ ∴ فِي وَجْهِ آدَمَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَجَدْ

أَوْ لَوْ رَأَى النَّمْرُودُ نُورَ جَمَالِهِ ∴ عَبَدَ الْجَلِيلَ مَعَ الْخَلِيلِ وَمَا عَنَدْ

[ارْتَقَتِ]: أي عَلَتْ وارتفعت [الْحَقَائِقُ] من منزلة العدم إلى مرتبة الوجود[4]، وهي جمع حقيقة بوزن طريقة فعيلة، من حق الشيء إذا ثبت، قال السيد الشريف

---

(1) ولا يبعُدُ أن تكون (ال) للجنس أيضا، فالبنظر لحقيقة النور المحمدي فهي للجنس، وبالنظر إلى كل الأنوار وأنواعها فهي للاستغراق، فكلٌّ منه.

(2) بمعنى الباء أي انشقت به الأسرار وانفلقت به الأنوار، وابتدائية؛ أي أنه مبدأ انشقاق الأسرار وانفلاق الأنوار، فهو أول سرٍّ انشق، وأول نورٍ انفلقَ.

(3) خصهما لأن عيسى آخرُ الرسلِ قبلَه، وآدمُ أولُهم، والصدور هم العظماء الذين يُصَدَّرُون ويُعَظَّمون في المجالس، والمراد سادتنا الأنبياء، ومن ورائهم الأولياء، فهم أعينٌ وهو ﷺ نورُها.

(4) ووجه الارتقاء أن الوجودي أشرف من العدمي، أما وجه الذاتية فمن الغيب إلى العين. وهذه الحقائق لا تُنال بالدراسة أو التعليم فهي من الأسرار الربانيّة، والعلوم اللَّدُنية، ومعرفة الحق من الباطل، وإدراك دقائق المُكَوَّنات، وهي أيضا (الحقائق الْمُمْكِنَةُ الْكَامِنَةُ الثُّبوتِ) كما قرر سيدي عبد الله بن الصديق الغماري، وهي المرادات الإلهية والحكمة الربانية الْكَامِنَةُ الموجودة بخفاء فِي عَالَمِ الثُّبوتِ وهو الممكن الذي ثبت بخلق الله له، فظهرت هذه الحقائق وارتفعت الحقائق إلى ذروتها من حضرة حضرة الذات العلية إلى حضرة الأسماء والصفات، ومنها إلى حضرة الأفعال.

في "التعاريف"[1]: حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو،

كالحيوان الناطق للإنسان، بخلاف مثل الضاحك والكاتب، مما يمكن تصور الإنسان بدونه، وقد يقال: إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقةً، وباعتبار شخصه[2] هُويةً، وبقطع النظر عن ذلك ماهيةً.

وإنما ارتقت بظهورِه وارتفعت بإشراق نوره، لأنه مُمِدُّها من الأزل إلى الأبد، وواسطتُها في فيض إمداد الأحد، وبسَرَيَان إمدادِه فيها ارتفعت ظواهرُها وخوافيها، وصورة سريان إمدادها الخفي كصورة سريان حرف الألف في سائر الحروف، والجَليّ كصورة رسمها المعروف أو في ذاته الشريفة ظهرت حقائق الأشياء. فهو ﷺ بمنزلة السماء، والحقائق بمنزلة الكواكب، ولهذا لا أحد يساويه في المراتب.

وبسببه أو لأجله]تَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ[، ووصلت لهذا العالم، أو فيه تنزلت العلوم الأسمائية، من أبيه آدم وراثة ظاهرية، بعد تنزلها على آدم إفاضةً باطنية، فعلوم آدم هي الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد الحقائق الكونية، ومنها التي توجهت على إيجاد الحقائق الملكُوتية، والملائكة لا تعرفها لأنهم لا تَرَقِّي لهم إلى الحضرات الإلهية.

ثم أقام الحق سبحانه المسميات بهذه الأسماء العلية، وهي التجليات القدوسية التي هي للأسماء كالمواد الصورية للأرواح، فقال للملائكة: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: 31]، يعني الصور التي تجلى فيها الحق ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ فهل سبّحتموني بهذه الأسماء التي أتجلى بها لعبادي، وإن كنتم صادقين في قولكم ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فهل قدَّسْتُمْ ذاتكم لنا[3]، من جهلكم بهذه التجليات وما لها

(1) التعريفات للجرجاني (ص:90).

(2) في التعريفات: وبامتياز تشخصه.

(3) يحتمل أن يكون هذا باعتبار أن تجليات الصفات يُطْلَبُ تقديسُها لأجل الصفات ومن قامت به سبحانه.

من الأسماء التي ينبغي أن تسبحوني بها، فقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فمِن عِلْمِهم بالله تعالى ما أضافوا التعليم إلا إليه سبحانه ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ بما لا نعلمه ﴿الْحَكِيمُ﴾ بترتيب الأشياء في مراتبها، فأعطيت هذا الخليفة ما لم تعطنا مما غاب عنا، ولولا أن رتبة نشأته تُعْطِى ذلك ما اقتضت الحكمة أن يكون له هذا العلم الذي خصَصْتَ به دونَنَا، قال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي بأسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم، فأخبرهم بأسماء تلك التجليات، فكانت تلك المسميات المعروضة على الملائكة تجليات إلهية في صورة ما في آدم من الحقائق، فلما أنبأهم بها قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ﴾ ما غاب عن العيون، فكل طبقة من السماوات تعلم ما تحتها ولا تعلم ما فوقها، فما فوقها بالنسبة لها غيب، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي ما في الطبيعة من الأسرار، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي ما هو في الأمور ظاهر، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي تخفونه على أنه باطن مستور، فأعلمتكم أنه أمرٌ بَيِّنٌ وإنما هو ظاهر لمن يعلمُه، قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: 26-27]، يعنى من الإنسان، فإن له صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحاً من عالم الغيب الملكوتي، وسراً مستعداً لقبول فيض الأنوار الإلهية.

فبالتربية يترقى من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وبسر المتابعة يترقَّى من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت والعظموت، وهو غيب الغيب، ويشاهد بنور الله المستفاد بسر المتابعة أنوار الجلال والجمال، فيكون خليفة الحق عالمًا للغيب والشهادة، فهذا هو السر المكنون المذكور في استعداد الإنسان الذي كان الله يعلمه منه والملائكة لا يعلمونه.

ولما كان آدمُ خلاصة العالَم، ورُوحُه بِذْر شجرةَ العالم، وشَخْصُه ثمرةَ العالَم، ومن شأن الثمرة أن تَمُرَّ على أجزاء الشجرةِ كلِّها حتى تظهرَ في أعلاها، كان آدم كذلك عَبَرَ

على أجزاء شجرةِ الموجودات عُلْوِها وسفلِها، وكان في كل جزء من أجزائها منفعة ومضرة، ومصلحة ومفسدة، فسمَّى كل شيء منها باسم يلائم تلك المنفعة والمضرة، بعلمٍ علمه الله تعالى، والملائكة لا يعلمون، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ أي ألهمه فوقع في قلبه فجرى على لسانه بما في قلبه بتسمية الأشياء بجميع اللغات، وفي الخبر: « لما خلق الله آدمَ بث فيه أسرار الأحرف ولم يبث في أحد من الملائكة فخرجت على لسان آدم بفنون اللغات، فجعلها صوراً له ومُثِّلَتْ له بأنواع الأشكال، ثم نُصِب له مِنبر فرقى عليه وأخبر الملائكةَ بأسماء الموجودات ومنافعها ومضارها وأسرارها وخواصها، حتى تعجبت الملائكة من فصاحته، وتحققوا أنه أَوْلى بالخلافة، فأمرهم الله بالسجود له سجود المتعلِّمين للمعلِّمِ من أجل ما عَلَّمَهُم»[1].

فلامُ آدمَ هُنا للعلة أو السبب، أي من أجل آدم أو بسببه، فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علَّمهم من العلم به[2]، أو تعظيماً لشأن خلافته، وتكريماً لفضيلته، وذلك لأن الله تعالى يتجلى فيه[3]، فمن سجد له فقد سجد لله، كما قال تعالى في حق حبيبه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10]، وهذه الحقيقة لم تظهر إلا في محمد ﷺ، فلهذا أخبر عن نفسه بأنه أوتي جوامع الكلم، وهو قوله في حق آدم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، فـ ﴿كُلَّهَا﴾ بمنزلة "الجوامع"، و الكلم بمنزلة ﴿الأسماء﴾.

وإنما نال آدم التقدمة بعلْم الأسماء، وبالصورة التي خلقه الله عليها، كما ورد

---

(1) لم نقف عليه.

(2) انظر: الفتوحات المكية (129/3).

(3) أي تجلى عليه، فحروف المعاني تتعاور أي يقوم بعضها مقام بعض، وهنا نقول: إن السجود للمعنى الذي حدث لسيدنا آدم هو تجلي الصفة، وهي العلم، فالسجود للعلم، فمن سجد له، فقد سجد للمعنى القائم به.

أن الله خلق آدم على صورته[1]، وجعله بالخلافة على صورته، وهي المنزلة، فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره، أو يقال و(منه) أي من نبينا ﷺ (تنزلت علوم آدم)، لأنه ﷺ أول مخلوق خلقه الله تعالى من نوره كما في خبر: «أَنَا مِنَ اللهِ، وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي»[2].

وفي الحديث: «أول ما خلق الله نُوري ومن نوري خلق كل شيء، فأقام ذلك النور في مقام القرب، وفي مقام الحب والخوف والرجاء والكرامة والرحمة والعلم، وغير ذلك، كما تقدم في حديث جابر. وفي كل مقام يسبح الله ويذكره بأسمائه وصفاته كذا كذا سنين. ثم لما خلق آدم رَكَّبَ ذلك النور المحمدي في ظهره، فكانت الملائكة تقف خلفه صفوفاً، وكان آدم يُسمع من صلبه نشيشاً كنشيش الطير، فسأل ربَّه عنه فقال هذا تسبيح نور ولدك الحديث»[3].

فكان له من العلوم مالم يكن لغيره من المخلوقات. ويؤيده قوله في حديث

---

(1) والحديث عند البخاري ومسلم، ورواية مسلم: «فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». وفي ذلك يقول مولانا الإمام العلامة: (إن الحديث له بقية، وهي «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، ومعنى ذلك أن نتجب الوجه عند الضرب، لأن الله تعالى خلق آدم على صورته أي صورة المضروب، ولا بد أن ننتبه إلى أن الله تعالى لا صورة له، ولذلك لا بد من قراءة النص بالكامل حتى نفهم) اهـ. أما رواية (على صورة الرحمن) فهي شاذة وهناك معنى آخر أي على صورته الكاملة التي كان عليها فلم يمر بمراحل النشأة الإنسانية كغيره من البشر، " وعلى صورة الرحمن" للاختصاص أي لا يصور هذه الصورة إلا الرحمن تعالى، أما الرحمن فليس محلا للصورة أصلا. والإضافة لأدنى ملابسة، أي علاقة.

(2) والخبر معناه يمكن استنباطُه من قوله تعالى عن المؤمنين (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) [آل عمران: 195]، وحديث النبي ﷺ عن الأشعريين (هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)، وقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ)، وقال لجُلَيْبِيب: (هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ)، وهي أحاديث في الصحاح.

(3) ونسبه الدِّيار بكري في كتاب (تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس) إلى معالم التنزيل للبغوي.

الشفاعة: «فأحمده بمحامد لم تخطر على بالي الآن»(1)، وفي حديث الإسراء: «فَأَوْرَثَنِي عُلُومًا شَتَّى»(2)، فلما أراد الله إظهار فضل آدم، أنزل بعض علوم محمدٍ ﷺ فيه، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾.

[فَأَعْجَزَ] أي نبيُّنا ﷺ جميعَ [الْخَلائِقَ]، أي المخلوقات ملائكة وغيرها حتى آدم، لجمعه ﷺ لها وللعلوم الصفاتية والذاتية، ولأنه أُعْطِيَ العلمَ بالمسميات تفصيلاً، كما أشار إليه بقوله: «رُفِعَتْ لِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي هَذِهِ»(3)، وآدم أُعْطِي علم المسميات إجمالاً، وإلى هذا أشار صاحب "الهمزية" بقوله:

لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْـ ... ـبِ وَمِنْهَا لآدَمَ الأَسْمَاءُ

فعلوم آدم من حضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، وعلوم نبينا ﷺ من حضرة ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ بإشارة قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 11].

[وَلَهُ] ﷺ [تَضَاءَلَتْ الْفُهُومِ] أي تصاغرت وتقاصرت(4). وفي الحديث: «إن العَرْش على مَنْكِب إسْرافِيل وإنَّه لَيَتَضاءَلُ من خشية الله حتى يَصير مثل الوَصَع؛ يريد

---

(1) جزء من حديث متفق عليه: أخرجه البخاري، ح4476، ومسلم 326(193).

(2) من حديث المعراج ذكره القسطلاني في مواهبه(3/483).

(3) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، ح2، والطبراني في الكبير (13/318)، بنحوه.

(4) واضمحلت الفهوم في سَائِرِ الْعُلُومِ فإذا جُمِع علم الخلائق أجمعين والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين إلى علم سيدنا رسول الله ﷺ ما ساوى حبة رمل في فلاة فلا يعرف قدره إلا الذي خلقه، فلا تستشرف الفهوم أن تعرف حقيقته إلا أن يفتح الله على البعض ببعض حقائقه ﷺ، فكل واحد يعرف من ذاته ﷺ على قدر اتصاله به، وإدرك صفاته ومعرفتها حيث لم يقدر أحد أن يفهم ما خَصَّه الله به من الأسرار الإلهية، والمواهب الباطنية؛ لأنهم لم يروا إلا خياله الظاهر وأما الباطن، فلم يعلمه إلا خالقه الذي خصه الله به. وكل ذلك إنما هو بِإِفَاضَةٍ من عند مولاه تفضلا، ودليل ذلك واضح ومعروف لكل (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ).

يتصاغر ويَدِقُّ تواضُعاً»[1]، قال أبو خراش[2]:

وَمَا بَعْدُ أنْ قَدْ هَدّنِي الدُّهْرُ هَدّةً ∴ تَضَالَ لها جِسمِي ورَقَّ لها عَظْمِي

تضال وتضاءل الرجل: أخفى شخصه قاعدًا، وتصاغر وتضاءل الشيء إذا انقبض وانضم بعضه إلى بعض حتى صَغُرَ وصار دقيقًا. وأنشدوا[3]:

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لَا متضائلٌ ∴ وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُه وَبَآدِلُهْ

وقال غيره[4]:

نُعِدُّ الْجِيَادَ الْحُوَّ وَالْكُمْتَ كَالْقَنَا ∴ وَكُلَّ دِلَاصٍ نَسْجُهَا مُتَضَائِلُ

أي دقيق[5].

[والْفُهُوم] جمع فَهم...إلخ. وهو هيئة تحصل للنفس تحقق بها ما يحسن، وقيل سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجة لغيرها، والفهم: العلم بالشيء أيضًا، والمعنى تصاغرت فُهوم الخلائق عن ما جاء به من العلوم والأسرار والمعارف الأبكار، لأن موارد فهومهم حَضِيضة فرشية، وموارد فهومه سماوية عرشية، أو تضاءلت عن إدراك حقيقته ﷺ لأنها من نور الحق. وقال عليه السلام: «لا يَعْلَمُ حَقِيقَتِي غَيْرُ رَبِّي»، وقال سيد التابعين أويس القرني للصحابة: (ما رأيتم من رسول الله ﷺ إلا ظله، قالوا ولا ابن أبي

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد، (74/1).

(2) قاله أبو خراش يرثِي خالد بنَ زهير. أبو خراش الهذلي (ت15هـ) ومات في خلافة عمر بن الخطاب: واسمه خويلدة بن مرّة.

(3) العُجَيْر السَّلُولي ق8هـ - العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من بني سلول من شعراء الدولة الأموية.

(4) قَالَه مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، وهو أبو حنظلة مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أدرك الإسلام وأسلم. انظر: فوات الوفيات (233/3). الحُوّ: أسود من شدَّة النَّضارة، الكُمْتَةُ لونٌ أسودُ يخالطه حمرة، قَنَا اللَّوْنُ : كَانَ أَحْمَرَ قَانِياً، والدَّلاَّصُ: اللَّيِّنُ البَرَّاقُ الأَمْلسُ، ودِرْعٌ دِلاَصٌ: لَيِّنَة.

(5) الكلام منقول من لسان العرب: (389/11).

قحافة، قال: ولا ابن أبي قحافة).

ولما ذُكِرَ هذا عند الإمام أبي الحسن الشاذلي قال: صدق أويس، إن علياً كان مقامه إدراك نفس رسول الله، وعثمان إدراك قلبه، وعمر إدراك عقلِه، وأبا بكر إدراك روحِه.

وحقيقته ﷺ: سر لَطيفٌ مِن أسرَار الحقِّ لا يَطلع عليه في هذه الدار سوى الرب جل جلاله، ولا يكشفه أحد غيرُه، إذ حقيقته عليه السلام أحمدية مِن السرِّ المَكنون، والأمرُ المصون الّذي انفردَ بهِ تعَالى، وما أدرك المؤمنون منه إلا ظاهر صورتِه المحمدية، وهُو الّذي عبَّر عنه أويس بالظل، وهذا معنى قول البوصيري:

أعْيَا الورى فَهْمُ معنـاهُ فليسَ يُرَى ∴ في القُرْبِ والبُعدِ فيه غيرُ مُنفَحِمِ[1]

أي غير معجوز عنه، والمعنى أن القريب منه ﷺ والبعيد عنه عاجز عن إدراك حقيقته وأوضحه بقوله:

كـالشمسِ تظهَرُ للعينَيْنِ مِن بُـعُدٍ ∴ صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِن أمَمِ[2]

[**فَلَمْ يُدْرِكْهُ**] بسبب تقصيرنا ولقصر باعنا لم يلْحَق ثناءه العالي في جميع علومه وفهومه[**مِنَّا**] معاشر الموجودات العلوية والسفلية [**سَابِقٌ**] في الظهور والرتبة [**وَلا لاحِقٌ**] فيهما مع وجود الرابطة الحِبية الإمدادية والنسبية، وقد قيل:

وأينَ السُّهَا عن أكْمَهٍ عن مُرادِهِ ∴ وَأيْنَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ الْمُتَطَاوِلِ[3]

---

(1) من بردة البوصيري، وأعيا أعجز، والورى الخلق، ومنفحم عاجز أو مبهوت، والمعنى أعجز فهم حقيقته وأسراره الناس جميعهم. وينظر شرح سيدي ابن عجيبة على المشيشية، ص 211

(2) تكل تتعب، والطرف العين، وأمم قرب. والمعنى إنه عليه الصلاة والسلام كالشمس، عالية جدا، ولذلك يراها المرء صغيرة، ولو قدّر لها أن تكون أدنى لعجز المرء عن النظر إليها لقوة شعاعها.

(3) وَ(السّهْوُ) الْغَفْلَةُ، و(الأَكْمَهُ) الّذِي يولَدُ أَعْمَى، وَ(الْمَرَادُ) بِالْفَتْحِ الْمَكَانُ الّذِي يُذْهَبُ فِيهِ وَيُجَاءُ.

فهو ﷺ السابق في الأولية النورانية واللاحق بالآخرية الظهورية في المرتبتين الغيبيَّة والعينية، وإلى ذلك أشار بقوله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون»[1]، وبقوله: «أنا يعسوب الأرواح»[2] أي أصلها وكبيرها المقدَّم عليها رتبة وإمدادا إسعافا وإسعادا. قال العارف مصطفى البكري: (وإذا كان هو الأصل السابق فكيف يلحقه الفرع اللاحق؟ هذا لا يطابق). أو المعنى لم يقف أحد على حقيقته في الدنيا وأما في الآخرة فتدرك لكشف الحجاب عن الخلائق.

قال في "الهمزية":

إنَّـمَـا مَثَّـلُـوا صِفَـاتِـكَ لِلـنَّـ ∴ اسِ كَـمَـا مَثَّـلَ النُّجُومَ الْـمَـاءُ

يعني أنَّ الأنبياءَ وغيرهم لم يعرفوا من أوصافه ﷺ إلا مثلها، ونظير ذلك والنجوم ترى في الماء، فالناظر إنما يرى مثالها لا حقيقتها؛ لأن الإنسان لم يعرف إلا مَن دونه أو ساواه وهو ﷺ أعلى الخلق قدرًا، قال صاحب "البردة":

وكَيْفَ يُدركُ فِي الدنْيَا حقِيْقَتهُ ∴ نِيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بالحُلُمِ

[فَرِيَاضِ الْمَلَكُوتِ] أي بساتين الأرواح والنفوس، أو عالم الأمر وحضرة القدس والأنس **[بِزَهْرِ جَمَالِهِ]** أي بنور حسنه وحسن جماله **[مُونِقَةٌ]** مُزينة مبتهجة[3].

والجملتان من إضافة المشبه للمشبه به، وأصل الرَّوْض أرض مخضرة بأنواع

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، (20) 855.

(2) لم نقف عليه.

(3) يقول سيدي ابن عجيبة: الملكوت في اصطلاح الصوفية ما يدرك بالبصر والوهم، أو تقول الملكوت مدرك أهل الجمع ، والمُلك ما يدرك بالبصر والوهم، أو تقول الملكوت مدرك أهل الجمع ، والملك : مَدْرَك أهل الفرق، أو تقول الملك: ما ظهر ، والملكوت : ما بطن، فالملكوت مدرك أهل الشهود والعيان، والمُلك مظهر أهل الدليل والبرهان. [شرح المشيشية ، ص: 211].

النبات، والروضة الموضع المعجب بالزهور وأراض الوادي واستراض اتسع وانبسط.

"والملكوت" فعلوت من الملك كالرهبوت من الرهبة، العز والسلطان والمملكة كما في القاموس ويقال: ملكوت العراق وهو الملك والعز، قاله في "المختار"(1). وفي صطلاح القوم: عبارة عن عالم الغيب المختص بالأرواح، ويقال له عالم الأنوار القدسية، وعالم الأسرار الأنسية(2).

والزَّهرُ في الأصل اسم للنَّوْر الذي يكون في البساتين. قال في القاموس: "الزَّهْرَة" ويُحرّك: النبات ونوره أو الأصفر منه، والجمع زهر وأزهار(3)، ومن الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها، والجَمَالُ الحُسن في الخلق والخلق والزينة، والنبي ﷺ خُلق من نور الجميل، وتجلى الجميل عليه بالجمال، فصار ﷺ عين الجمال، وفي الحديث: «إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ» [رواه مسلم].

---

(1) مختار الصحاح، ص: 298.

(2) ويسمى مَدْرَكُ أهل الجمع، بينما الملك هو ما ظَهَر من عالم الحس ويُدرَكُ بالبصر ونسميه مَدْرَكُ أهل الفرق، وهو مظهر الأفعال (أفعال الله تعالى وهي لا تتناهي) أي تظهر فيه الأفعال (وتكون محجوبا عن الصفات) ومن رياض الملك ما بين قبري ومنبري، وحلق الذكر، وعيادة المريض، والكعبة والروضة، أما إذا تعاملت مع الصفات وآثارها كالإيمان والتسليم بعلم الله وقدرته وحكمته، وغير ذلك من صفاته جل وعلا فأنت تتعامل مع الصفة دون أثر الفعل، فأنت تتعامل حينئذ مع عالم الملكوت، وهو العالم الذي تظهر فيه آثار الصفات كالعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك (وحينئذ تكون محجوبا عن عالم الذات)، فقبل أن يكون له أثر في الحس يكون له أثر في الملكوت، وهو عالم غير مرئي، مثل عالم الملائكة والجن والجنة والنار والقبر وغير ذلك من العوالم غير المحسوسة، فهي مظهر من مظاهر الصفات (والصفات غير محصورة). ثم بعد ذلك الذات ولها عالم آخر تظهر آثارها فيه بمجموع أفعالها وصفاتها مندرجة في ذات واحدة هو الله من غير تكثر ولا تعدد، فهو أحد وهذا هو عالَم الجبروت، وهو عالم الأسرار الذي يُمَدُّ منه عالم الملك والملكوت، فعالم المُلك يُمد من الأفعال، وعالم الملكوت يُمد من الصفات، والكل يُمد من الذات أفعالا وصفاتا، كما بينه السادة.

(3) القاموس المحيط، (430/1).

ولم تظهر صفة الجمال في أحد كظهورها فيه ﷺ فهو جَمَالُ كل جَمَال، إذ هو حقيقته ومنبعه وسره وشرعه، فهو الجمال، فأحب الجميل هذا الجمال، فكان ﷺ جامع الجمال ومؤذنه المحيط بسدته أهل الكمال وخطيب الجمال والإمام والمأموم والكعبة التي طافت بها جمالات الفهوم، ولقد أجاد من قال:

يَا كَعْبَةَ الأَعْلامِ يا شَمس الْهُدَى ∴ يَا مَنْ لَهُ الاسْمُ الْمُحِيطُ الْجَامِعُ

أَنْتَ الْمُؤَذِّنُ وَالْخَطِيبُ وَأَنْتَ يَـا ∴ خَيْرُ الْوَرَى الْمَأْمُومُ ثُمَّ الْجَامِـعُ

أَنْتَ الْجَمَالُ وَقَدْ أَحَبَّـكَ مَنْ لَـهُ ∴ اسْمُ الْجَمِيلِ وَمُقْسِطُ وَالْجَامِـعُ

وقوله: "مونِقة" بكسر النون اسم فاعل من أنق، فأعجب، قال في القاموس: أنق الشيء كفرح أحبه وبه أعجب(1)، أي لزيادة حسنه، ويصح بفتحها أي هو آنقها بزهر جماله، وبهجها برياحين كماله، فشبه تزيينه للملكوت بتزيين الزهر للرياض، فكما أَنَّ البساتين مُزينة بالزهر فالملكوت مزين بجماله ﷺ.

[وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ]: قال في "المختار"(2): الحوض واحد الأحواض والحياض، وحاض الماء واستحاض واستحوض اجتمع، والحوض في الأصل محل مصب الماء، وفي حديث أم إسماعيل لما ظهر لها ماء زمزم، جعلت تحوضه؛ أي تجعله حوضاً يجتمع فيه الماء.

والجبروت فعلوت غير مهموز، كما في "المصباح" من الجبر وهو القهر لأنه العالم الذي يظهر فيه قهر الحق لكل ما سواه، أو من جَبَرَ الشيء أصلحه، وجبرت الفقير

---

(1) القاموس المحيط، (865/1).

(2) مختار الصحاح، ص:84.

أغنيته[1]. قال في القاموس: تجبر تكبر، والشجر أخضر وأورق. ويقال له عالم العقول وعالم البرزخ وعالم الخيال. وعند أبي طالب المكي عالم العظمة. قال العارف: يريد به عالم الأسماء والصفات.

[بِفَيْضِ أَنْوَارِه] أي بسبب تكاثرها وتزايدها. **[مُتَدَفِّقَةٌ]**: متصببة يدفع بعضها بعضاً كالبحور الزواخر التي لم يُدْرَك لها أول من آخر، أو الباء بمعنى مِنْ[2]، وشبه قلوب العارفين بالحياض، وعلوم النبي ﷺ بالبحر، والإضافة من المشبه به للمشبه، والمعنى: أنَّ تِلكَ الحِياض- أي القلوب العظيمة والنفوس والعقول الفخيمة- متدفقة؛ أي ممتلئة من ذلك البحر الذي هو علم النبي ﷺ.

[وَلَا شَيْءَ]: لا نافية للجنس وشيء اسمها، وهو أنكر النكرات وخبرها محذوف تقديره موجود، والجملة بعدها حالية، والشيء يطلق في اللغة على كل موجود حسًّا كالأجسام، أو حُكْمًا كالأقوال[3].

[إِلَّا]: أداة حصر، **[وَهُوَ]** أي ذلك الشيء، **[بِهِ]** ﷺ، **[مَنُوطٌ]**: متعلق، فجميع الوجود مستمد من وجوده ووارد من وروده؛ إذ لولاه ما وجد الوجود، ولا تم

---

(1) والحاصلُ كما قال سيدي ابن عجيبة: أنّ المُلكَ والمَلكوتَ والجبروتَ محلُّها واحدٌ؛ وهو الوجود الأصلي؛ والفرعي، لكن تختلف التسمية باختلاف النظرة. وتختلف النظرة باختلاف الترقّي في المعرفة من نظرَ الكون ورآه كوناً مستقلاً بنفسِه قائماً بقدرة الله، ولم يُكشَف له عن رُؤية صانعه فيه وكان صاحب هذه الرؤية محجوبا لوقوفه مع الوهم فهو في عالم الملك، ومن فتح الله بصيرَته ونَفَذَ إلى شهودِ المُكوّن في الكون، أو قَبْلَه فهو في عالم الملكوت، فإذا نفذت بصيرَتُه إلى شهود أَصْل الأُصول والفُروع، وهي العظمة الأزلية اللطيفية، قبل أن تتجلّى وتُعرف. (فهو عالم الأسرار والعلوم والمعارف لقلوب العارفين) فهو عالم الجبروت.[شرح المشيشية: ص212].

(2) فيكون المعنى من فيض أنواره تتدفق.

(3) أي وَلَا شَيْءَ من الكائنات والأكوان الممكنات الجائزات.

الورود[1]، فهو أُسُّ الخليقة، وأصل ظهور الحقيقة. قال الشرف ابن الفارض قدس الله سره الغامض:

لَوْلاكَ يَا أَحْمَدَ الْمَحْمُودِ مَا طَلَعَتْ .·. شَمْسٌ وَلَمْ تَخْرُجُ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

فهو ﷺ دائرةُ البحر المحيط، ومركز الفلك البسيط وطلسم الفلك الأطلس، في بطون "كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف" وطاووس الملك المقدس ظهور فخلقت خلقاً عرفوني وبهم أعرف، ولما غشي الأنبياء أنواره، ولاحت لهم في ذلك الموطن أسراره، قالوا: ربنا مَن هذا الذي غشيتنا أنواره وتراءت لنا أزهاره؟ قال: نور محمد إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته؛ ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: 81]، أي عهدي، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾. فكان ﷺ بداءة نقطة الكائنات القابلة للانفعال التكويني بما توجه عليها من أسماء الأفعال المرتبطة بالمنفعل الوجودي إيجادًا وإمدادًا، كما يدل عليه حديث جابر المتقدم، وحديث «أنا يعسوب الأرواح»، وحديث «كُنْت نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوح وَالْجَسَدِ»[2].

قال سيدي علي وفا:

رُوحُ النَّبِيِّ قُطْبُ الْعَوالِمِ كُلِّهَا .·. لَوْلاهُ مَا تَمَّ الْوُجُودُ لِمَنْ وُجِدْ

وينبه على ذلك الشرف الفارض بلسان الترجمانية عنه عليه السلام

وإنِّي وَإنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً .·. فَلي فِيهِ مَعنًى شَاهِدٌ بِأُبُوتِي

وهذا ومثله قد تحققه الصوفي من حيث كشفه عن سره الممتد في الذوات

---

(1) وذلك في كل عروج وهبوط، أي في غير استقلال عنه استنادا واستمداد، فإن الكل مستمد منه ومستند إليه.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، ح36553.

الكاملة كلها، وأما حظ غيره منه فإنما هو التصديق لما ورد في الخبر من ذلك، قال سيدي محمد البكري رضي الله عنه:

مَا أرسلَ الرَّحْمنُ أويُرسِلُ .·. مِن رَحمَةٍ تَصْعَد أو تَنزلُ

في مَلَكُوت الله أو مُلكِهِ .·. مِن كلّ مَا يَخْتَصُّ أو يَشْمَل

إلاَّ وَطه المُصطفَى عَبْده .·. نَبِيُّه مُختَاره المُرسَل

وَاسِطَةٌ فِيهَا وَأصْلٌ لَهَا .·. يَعْلَمُ هَذا كُلُّ منْ يَعْقِلُ

ثم علل ذلك بقوله[1]:

[إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ] العظمى [لَذَهَبَ] أي كلمح البصر وانمحى وفنى وانعدم واندحى [كَمَا قِيلَ] أي قال أهل الأذواق [الْمَوْسُوطُ] وهو الشيء المتعلق بأذيال إمداده وحبال وصلته[2]. وليس المراد من القيل صيغة التضعيف بل النسبة لأهل التشريف ومنه قول بعضهم:

وَأَنْتَ بَابُ اللهِ أيُّ امْرِئ .·. أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لا يَدْخُلُ

فهو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى في وصول الكمالات العلمية والعملية والكلية والجزئية إلينا من الحضرة الأقدسية، وذلك لأن الله تعالى لَمَّا كانَ في نِهاية الكمال وغاية الجلال

(1) أي ثم ذكر علّة تعلّق الأشياء به صلى الله عليه وسلم.

(2) كما الأب إذا ذهب لم يكن الابن، فلولا النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل القرآن، ولولا النبي صلى الله عليه وسلم لذهبت الرسالة، ولولا النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهرت الرحمة، والإسلام موسوط والواسطة هو النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي أبو الأكوان لا يرزقهم وإنما يقسم عليهم الأرزاق التي وهبها الله تعالى له ويوزعها على الخلق، حتى إنه في التشهد وحيث أنزل الله السلام كله على النبي (السّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ) قام النبي بوظيفته بتقسيمه على العالمين (السّلام عَلَيْنا وعلى عِبادِ اللّهِ الصَّالِحين)، بِدَلِيل «إنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللّهُ يُعْطِي»، واسم الفاعل قاسم هنا له دلالة وهي عدم تقيده بزمان، بل هو مستمر.

والجمال، ونحن في غاية النقصان ومحل الغفلات والدناءات والنسيان، لم يكن لنا استعداد لقبول الفيض الإلهي والمدد العظيم الزاهي؛ لتعلقنا بالعلائق البشرية والعوائق البدنية، وتدنسنا بأدناس اللذات الحسية والشهوات الجسمية[1]، فاحتجنا في قبول الفيض الإلهي إلى واسطة.

والمحبة لابد لها من رابطة، وهذه الواسطة لا بُدَّ أن يكون لها وجه تجرد وتحقق ونوع تَودد وتعلّق، فبوجه التجرد يستفيض من الحق، وبوجه التحقق يفيض على الخلق[2]، وهذه الواسطة هم الأنبياء عليهم السلام ونبينا ﷺ أعظمهم والمفيض عليهم، وهم نُوابه في الإفاضة على المخلوقات. كما أشار إليه ابن الفارض رحمه الله تعالى بقوله:

وجاء بأسرار الجميع مفيضها .·. علينا لهم ختما على حين فترة

وما منهم إلا وقد كان داعياً .·. به قومه للحق عن تبعية

وقول الشيخ الأكبر قدس الله سره الأزهر[3]: (إِذْ هُوَ بَابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْصَدْكَ مِنْهُ سُدَّتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ وَالأَبْوَابُ، وَرُدَّ بِعَصَا الأَدَبِ إِلَى إِصْطَبْلِ الدَّوَابِّ ﷺ).

[صَلاةً]: منصوب بـ"صَلِّ" المتقدم على أَنَّه مَفعول مطلق. **[تَلِيقُ]**: أي تكون لائقة لكمالها وصلاحيتها لحضرتك القدسية، **[بِكَ]**: أي بجنابك وإحسانك[4]، واصلة **[مِنْكَ]**

(1) في الأصل (الجسيمة)، وما أثبتناه أقرب إلى المعنى المراد والله أعلم.

(2) وهذا هو المعنى الذي يقرره مولانا الإمام العلامة بقوله (لسيدنا النبي ﷺ بابان: أحدهما على الحق، والآخر على الخلق، وهو ما يعني استغفاره ﷺ، وهو المراد بقولهم: غين أنوار لا غين أغيار.

(3) وهي الصلاة الفيضية لسيدي ابن عربي، وأولها (اللَّهُمَّ أَفِضْ صِلَةَ صَلَوَاتِكَ، وَسَلامَةَ تَسْلِيمَاتِكَ، عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ الْمُفَاضَةِ مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِي، وَآخِرِ التَّنَزُّلاَتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الإِنْسَانِي). وسبق الحديث عنها. ويقال: إِسْطَبل، أو اصطبل حظيرة الخيل، مأوى الدَّوابّ أو موقفها.

(4) أي تكون لائقة لكمالها وصلاحيتها لحضرتك القدسية، مِنْ حَيْثُ أُلُوهِيَّتُكَ عظيمة بعظمة ذاتك وكمالكَ وكبريائك وألوهيتك وجلالك، فالألوهية جلال.

أي من حضرتك الخاصة الذاتية(1)، [إِلَيْهِ]: أي إلى ذاته المحمدية(2)، فإن الصلاة إذا كانت لائقة بجنابك مهداة من حضرة امتنانك كانت الغاية القصوى، إذِ العظيم لا يهدي لحبيبه العظيم إلا العظيم، [كَمَا هُوَ] ﷺ [أَهْلُهُ]: أي مستحقه متأهل له من حيث تمحض العبودية والكاف للتشبيه أو للتعليل أي لأهليته و "ما" موصولة أو مصدرية.

وفيه مقابلة بصفة الربوبية، وعلى قدر المقابلة والاستعداد، يكون كمال الاستمداد والامداد، وبهذا عبر رضي الله عنه بـ "كما هو أهله"، وعدل عن التعبير بـ"كما" أنت أهله، وإن كان أكمل؛ لأنَّ أهلَ البَاطنِ يُرَاعون مُناسبة المُواطن.

وموطن العبودية الصرفة أكمل أحوال العبد الذي ينبني عليها أساسه، ويراعي لأجلها أنفاسه وحواسه، ومن ثم ذكرها الله في مقام الامتنان كما حققه أهل الذوق والعرفان، كقوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ فلم يقل في مثل هذا المقام رسوله ولا حبيبه.

[اللَّهُمَّ إِنَّهُ] أي الحبيب الأعظم ﷺ [سِرُّكَ] الممتد في الأرواح(3)، ومظهر دائرة

---

(1) أي صَادِرَةً وواصلة (مِنْكَ) مِنْ حَيْثُ رُبُوبِيَّتُكَ بما فيها من جمال وحماية وتربية، ورعاية، ونماء، ومراعاة مصلحة المخلوق، والربوبية جمال، فجمع بين الجلال والجمال في طلبه، وهذا هو الكمال.

(2) بلا واسطةِ أحدٍ من خَلْقِك تكْرِيماً لِقَدْرِهِ الْعَظِيمِ المعلوم عندك مَصْحُوباً صحبة لا تنفك، لأنها منك على قدرك أنت يا الله، فهي صحبة مع الباقي الذي لا نهاية له بِخِلْعَةِ وعطية وهبة أسرار مجيء سيدنا رسول الله ﷺ إلينا من غير حول منا ولا قوة، فالمولى يعلم أنه أعجز الخلائق السابق واللاحق، فتكرم على عباده وبين لهم فضله الوضاح في قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ) تفضلا من المولى لعظيم قدره فأرسله وبيّن أنه رَسُولٌ وشَرَف الرسول من قدر من أرسله، وقد أرسله لكم مِّنْ أَنفُسِكُمْ على صورة البشر، وهو من أَنْفَس البشر، وأشرفهم، فهو خيار من خيار مصطفى من البشر في سلالة نسب مخصوصة منتقاة من الباري.

(3) فهو السر الخفِي الذي أودعتهُ في هذا الكون واختصَصْتَ بمعرفَته إذ هو عليه الصلاة والسلام، سرُّ الأسرار، ومعدنه، ومنبَع الأنوارِ، وعين التجلي الذاتي والاسم الأعظم، ومنه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار.

السعادة والأفراح الذي خفي كنه معناه عن العقول والفكر، وخرج عن إحاطة حقيقة وصفه طوق البشر، حتى كان الإيمان به من جملة الإيمان بالغيب، مع عدم الشك والريب.

[الْجَامِعُ] لجميع ما تفرق من كمال وجمال وجلال، والمخصوص بالاسم الجامع والواسع الأتم الذي لا ينال، وهو الجامع لكل المشاهد والمحادث والمسامر والمساير المشاهد، والجامع للوسع الذاتي، وما عداه فالصفاتي.

وإنما خص بالجمعية التي ما شذ عنها شيء، لكونه ﷺ وسع كل شيء، فكل شيء داخل تحت حيطته غيره(1).

[الدَّالُّ عَلَيْكَ]: أي الذي دل على معرفتك وأرشد الخلق إليك، أما اللاحقين فدلهم بواسطة العلماء والحكماء العارفين، وأما السابقين فبواسطة الأنبياء والمرسلين لكونهم نوابه، والكل أبوابه، ومنهم من دلهم بغير واسطة(2)، كما أشار لذلك بعضهم بقوله(3):

---

(1) فكل الأسرار مجموعة في قلب النبي وفي حقيقته الأحمدية، فلقد اجتمع فيه ما تفرق في كل الأنبياء والمرسلين، وظهرت في الحقيقة المحمدية المُزَكّى مِنْ حَضْرَتِكَ العَلِيَّةِ بِصِفَةِ {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} فصار صالحا لأن يكون السر الجامع لكل الكمالات.

(2) هي لأنه ﷺ المُؤَيَّدُ مِنْكَ بِشَهَادَةِ [وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ]، ولذلك جعل طاعته من طاعتك أيها النبي ولم يكن ذلك لغيره حتى من الأنبياء والمرسلين بل إنه سبحانه وتعالى وكّله في التشريع وتجاوز من أجله لأمته في بعض الأمور (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)، فالنسيان كانت تُؤاخذ الأمم السابقة عليه، ولذلك قال: [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ]، ولذلك لا سبيل لك إلا اتباعه [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ]، فكانت روحانيته ﷺ جامعة لأوصاف الكمالات، وبشريتُه جامعةً لأنواع المحاسن، وشريعتُه جامعة لجميع الشرائع، وكتابهُ جامعاً لسائر الكتب فهو الْجَامِعُ لِما افترق في غيره.

(3) هي مجموعةٍ من أبيات سيدي محمد وفا متحدثا عن بعض ملامح الحقيقةِ المحمدية أوردها الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني.

فَأنْتَ رَسُولُ اللهِ أعْظَمُ كَائِنٍ ∴ وَأنْتَ لِكُلِّ الخَلْقِ بِالْحَقِّ مُرْسَلُ
عَلَيْكَ مَدَارُ الخَلْقِ إذْ أنْتَ قُطْبُهُ ∴ وَأنْتَ مَدَارُ الْحَقِّ تَعْلُو وَتَعْدِلُ
فُؤَادُكَ بَيْتُ اللهِ دَارُ عُلُومِهِ ∴ وَبَابٌ عَلَيْهِ مِنْهُ لِلْحَقِّ يُدْخَلُ
يَنَابِيعُ عِلْمِ اللهِ مِنْهُ تَفَجَّرَتْ ∴ فَفِي كُلِّ حَيٍّ مِنْهُ للهِ مَدْخَلُ
مَنَحْتَ بِفَيْضِ الْفَضْلِ كُلَّ مُفَضَّلٍ ∴ فَكُلٌّ لَهُ فَضْلٌ بِهِ مِنْكَ يَفْضُلُ
نَظَمْتَ نِثَارَ الأنْبِيَاءِ فَتَاجُهُمْ ∴ لَدَيْكَ بِأنْوَاعِ الْكَمَالِ مُكَلَّلُ

[وَحِجَابُكَ الأعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ]: فهو ﷺ حجاب بين الله وبين خلقه، فلا يمكن أحد الوصول إلى الله تعالى إلا بواسطته؛ إذ هو الباب الأعظم لا يدخل أحد إلا منه، واللباب المعظم، الذي تهيم الألباب بما تفهمه عنه، أو حجاب بمعنى مانع المضار الدنيوية والأخروية عن أمَّته، والأعظم صفة لحجاب، وإنما وصفه بالعظم؛ لأن الأنبياء حُجُبٌ أيضاً لأممهم فهو أعظمهم ، وكذا الشيخ حجاب لتلميذه فتلك حجب خاصة.

والمصطفى ﷺ هو الحجاب الكلي القائم في مرتبة الخلافة الكبرى في الدنيا والأخرى، المتلقي عن الله ما يفاض عليه والمفيض ذلك بإذنه على كل مُنتسب إليه، فهو الحجاب الساتر من اقتدى به عن وصول الضلالة إليه، الدافع عن المؤتم به وقوع صخرات الزيغ عليه، المانع من الوقوع في الهَلَكَات، لأنه دل على ما فيه الخلاص والنجاة في الحركات والسكنات.

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ وَأَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ»(1)، فأثبت الطلب لنا ولهم، والطالب لا بُدَّ له مِن دليلٍ يُوصله إلى المطلوب ويدله على المرغوب، والدليل قد يكون خارجياً وباطنياً

(1) ذكره الألوسي في تفسير سورة الأنعام، ولم نقف عليه مسنداً.

وقد يكون معلوماً للمدلول وقد يجهله، ودليل الخلائق أجمعين من السابقين واللاحقين هو الحبيب الأعظم الهادي الأمين. قال ابن الفارض في الترجمانية أفاض الله علينا إمداداته العلية:

وأهلُ تَلَقّى الروحَ باسْمي دَعَوْا إلى ∴ سبيلي وحَجّوا المُلحِدينَ بحُجّتي
وكُلّهُمُ عن سبْق معنايَ دائرٌ ∴ بدائِرَتِي أو وارِدٌ من شريعتي
وإنّي وإن كنتُ ابنَ آدمَ صورةً ∴ فَلي فيه مَعنًى شاهدٌ بأبُوَّتي
ونفسي على حُجْرِ التّجَلّي بِرُشْدِهَا ∴ تَحَلّتْ وَفِي حِجْرِ التَّجَلّي تَرَبتي
وفي المَهْدِ حِزْب الأنبياءِ وفي عنا ∴ صري لَوحيَ المحفوظ والفتحُ سورتي
وقبلَ فِصالي دون تكليفِ ظاهري ∴ ختمتُ بشرعي الموضِحي كلّ شرْعة
فهُمْ والأولى قالوا بقَولِهِم على ∴ صراطيَ لم يَعلوا (يَعْدُا) مواطئ مِشيَتي
فيُمْنُ الدعاةِ السابقينَ إليّ في ∴ يَميني ويُسْري اللاّحقينَ بِيَسْرَتي
ولا تَحْسَبنّ الأمرَ عنّيَ خارجا ∴ فما سارَ إلاّ داخِلٌ في عُبودتي
ولولايَ لم يُوْجدْ وُجودٌ ولم يكُنْ ∴ شهودٌ ولم تُعْهَدْ عُهودٌ بذِمّتي

ولما استحضر المصنف، قَدَّسَ اللهُ أسرارَنا بأسراره، وعطر أرواحنا بشذا نفحات أنواره، عَظَمَةَ المصطفى بهذه الأوصاف التي لم تكن لمخلوق سواه، طلب أن يُلْحِقَهُ من حيث كمال معناه فقال: **[اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ]**، أي أوصل نسبي بنسبه النوراني واجعلني أدرك شرفه الروحاني، وإن كنت ملحقاً بنسبه الجسماني. قال في "المختار":

لِحِقه بالكسر أدركه وأَلْحَقَ به غيره وألحقه أيضا لحقه[1]، والنسب واحد الأنساب وبينهما مناسبة أي مشاكلة والمراد الالتحاق التام بالنسب الظاهر والباطن؛ ليكون الأجمل في كل المواطن، فإن أهل النسبة الظاهرة على مراتب في نسبتهم لجدهم الأعلى، فمن أولادهم من هو بمنزلة السمع ومن هو بمنزلة البصر، ومن نسبة العضوين وأكثر، ومنهم من تصح لهم النسبة التامة لظاهر جسمانيته، ومنهم من يجمع له بين الظاهرية والباطنية، فيكون وارث جده الأعلى في خُلقه وخَلقه وروحانيته. وهذا الالتحاق التام الأكمل الأشمل، الذي سأله المؤلف الأجمل؛ لأنه ﵁ جمع بين النسب الظاهري الطيني والنسب الباطني الديني، فسأل كمال التحاقه بهما وتحققه بوصفهما[2].

[وَحَقِّقْنِي]: أي اجعلني متحققاً متصفًا [بِحَسَبِهِ] الحسب في اللغة الشرف الثابت

---

(1) مختار الصحاح، ص 280.

(2) حيث طلب أن يجعل الله تعالى له علاقة وثيقة بهذا النبي ﷺ فِي الْبَاطِنِ حيث لا يراها الناس في السر بينه وبين سيدنا ﷺ في حقيقة الأمر والسر والتي لا يطلع عليها مخلوق، وأن يجعلها في الباطن وَنَفْسِ الْأَمْرِ أي على الحقيقة أن يكون مندرجا تحت الوراثة النبوية. وبنسبه بنوه متسلسلا الشرف الجِسْمَانِي نسبا جسمانيا إلحاقاً وأن يَجْبُرُ هذا الإلحاق مَا نَقَصَ مِنْ رَوَاتِبِ الْأَعْمَالِ فيجبر أي خلل في الأعمال المكتسبة، فإن (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ)، وأدق ذلك هو القصور عن معرفته ﷺ ومعرفتك يا الله، فهو أكبر خلل يصيب الأغيار والسوى، فتفضل بإلحاق أعمالي به، حتى ينجبر الخلل بالنظر إلى النبي ﷺ لا بالنظر إلى عملي، وَيَصِلُ مَا انْقَطَعَ مِنْ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ فالأحوال مواهب، تعطينا إياها فاجعلها مُلْحَقة بمواهبك لنبيك على كمالها واتصالها حتى أكمُل حالا، وأكون دوما في [وصال واتصال محققا الوصل]، فأنا أُصَلِّي كَمَا يُصَلِّي النبي في الصورة، ولكن على الحقيقة فإن صَلاتِي غير صَلاتِه، وكذلك صِلاتِي غير صِلاتِه، فهو بك دوما موصول، فاجبر كسري، واجعلها كما هي مطابقة لصورة صلاته وأن تكون مطابقة لحاله، حَتَّى أَسْعَدَ بِالْاندِرَاجِ فِي عُمُومِ قَضِيَّةِ «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي».

له ولآبائه وهو الاتصاف بالصفات الحميدة[1].

[وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ]: بذاته ومعناه وشرب حمياه، حتى أكون كأني إياه في كل أمر تولاه. [مَعْرِفَةً] خاصة مفعول مطلق لدى الخاصة[2].

[أَسْلَمُ بِهَا]: أنجو وأتخلص بسبب تلك المعرفة المحمدية [مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ] من (وفي نسخة: في) الحضرات التقريبية والمقامات الاصطفائية[3]، والموارد جمع مورد وهو مكان ورود الماء، أي الطريق إلى الماء، وكل من أتى مكاناً منهلاً أو غيره فقد ورده، وفي حديث أبي بكر أخذ بلسانه، وقال هذا الذي أوردني الموارد أي المهالك[4]، كقول أبي ذؤيب يصف القبر:

---

(1) وتجدر الإشارة إلى أن صيغة الأمر في قوله: (أَلْحِقْنِي) (وَحَقِّقْنِي) للدوام، والشيخ رضي الله عنه كان متصفا بما طلب حين الطلب، بل كان راسخ القدم فيه ومع كونه كما ذكرنا أي للدوام، فالحامل عليه إظهار العبودية والتلذذ بالخطاب والأمر به، لا قصد نيل المطلوب؛ لأنه خاصة الخاصة يدعون للأمر بالدعاء مع نسيان حظهم، وحيث وجدت لفظ الأمر في كلامه، فاحمله على هذا الحمل، فهؤلاء هم [صَفَا خُلاصَة خَاصَّة الْخَاصَّة، مَنْ كَانَ طَرِيقُهُم سَمَاوِيّ مُحَمَّدِي، لا أَرْضِيّ].

(2) ورغم كل ما وصل إليه سيدي ابن مشيش، ومَنَّ الله تعالى عليه بوصف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصافا عجز الكثير عن إدراكها، أو حتى الاقتراب من فهمها بعد أن سطرها مددا ومدادا وأمدادا من الحضرة المحمدية، طلب التعرف من مولانا - جل جلاله وتنزلت رحماته - على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعرفة الخاصّة فهو يعلم علما يقينا وحقًّا مُحَقَّقًا أن كل ما ذكره من أوصاف سابقة لا يساوي ذرة في حقيقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً) كاملة كَاشِفَةً لِفَضَائِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ.

(3) أي جَهْلٍ كان، وخاصة إذا كان جهلا بِـكَ يا الله وَبِـهِ صلى الله تعالى عليه وسلم فِي مَخَارِجِ الْأَمْرِ وَمَدَاخِلِهِ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا.

(4) انظر: لسان العرب ، (458/3).

يقولون لَمَّا جَشَتَ الْبِيرُ أَوْرَدُوا .·. وَلَيْسَ بِهَا أَدْنَى ذِفَافُ لِوَارِدِ[1]

ويقال للطريق وارد أيضا، قال جرير:

أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِراطٍ .·. إذَا اعْوَجَّ الموارِدُ مُسْتَقِيمِ

والجهل نقيض العلم، والجهل ضد الخبرة[2]. وفي الحديث: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً»[3]، قيل معناه أن يتعلم ما لا يحتاج إليه في دينه، ويدع ما يحتاج إليه من علم الكتاب والسنة، فقد شبه الجهل بماء من سُمٍّ، فكما أن السُمَّ مُهلكٌ للأبدان، كذلك الجهل مفسد للأديان.

[وَأَكْرَعُ]: أي أشرب بفم توجهاتي بدون كف أفكاري وذاتي[4]، **[بِهَا]** بهذه المعرفة الخصوصية والعلوم اللدنية **[مِنْ مَوَارِدِ]** مناهل **[الْفَضْلِ]** الخاص الذاتي الذي به تمام لذّاتي، والكرع: الشرب بالفم من موضع الماء من غير أن يشرب بكفيه ولا

(1) وجششت البئر، إذا كنستها، جش البئر: نقاها من الوحل ونظفها، قال أبو ذؤيب: يقولون لما جشتِ البئر أوردوا وليس بها أدني ذفاف لوارِدِ والجشُّ: جبل. والذفاف: الماء القليل الخفيف. وفي الأصل (جثت)، والصواب ما أثبتناه (جشت).

(2) يقول مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جعة: والعلم هو كل ما قربك من الله.

(3) أخرجه أبو داود، ح5012.

(4) كَرَعَ فِي الْمَاء: مَدَّ عُنُقَهُ وَتَنَاوَلَ الْمَاءَ بِفَمِهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَهُ بِكَفَّيْهِ أَوْ بِإِنَاءٍ، وكَرَعَ مِنْ مَنَاهِلِ العِلْمِ: تَعَلَّمَ بِرَغْبَةٍ زَائِدَةٍ وَشَغَفٍ. والمراد هنا (وَأَكْرَعُ بِهَا) شربا مباشرا على فمي من غير واسطة يَدِي متعطشا متلهفا عِلْمًا لَدُنِّيا من الرب إلى القلب بلا واسطة (مِنْ مَوَارِدِ وأصول ومنابع الْفَضْلِ الإلهي من العلوم اللَّدنية، والأسرارُ الربانية التي لا تتناهى الْوَاصِلِ مِنْكَ وصالا من غير انقطاع إِلَيْهِ ﷺ إذ القناعةُ مِنَ الله حِرْمانٌ، (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) والعلمُ لا حدّ له حتى يُشْبَعَ منهُ، وكذلك رحمته سبحانه، فأزدادعلما وَأَنْهَلُ مِنْ عَيْنِ [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً» [فاللهم ارْزُقْنَا عَيْنَ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله ﷺ نَنْظُرُ بِهَا نَظَرَ الله إلى الأَكْوانِ]، وما نظرُ الله إلى الأكوان إلا الرحمة، وما عين الرحمة إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

بإناء كما تفعل البهائم لأنها تدخل أكارعها، وقيل كل شيء شربت منه بفيك أو غيره فقد كرعت. وقال الأخطل:

يُرْوِي العِطاشَ لها عَذْبٌ مُقَبَّلُه .·. إذا العِطاشُ عَلَى أمثالِه كَرَعُوا[1]

والكَرْعُ يطلق على ماء السماء وما اجتمع منه بالغدير. [2]

والفضل لغة: الزيادة وضد النقص[3].

وفي الاصطلاح: ابتداء الإحسان بلا علة. وموارده الخاصة موائد الأجِلّة، لا يجلس عليها طفيلي صفه، ولا يعبر عنها لسان ولا شفة، إذ هي البحر المحيط الذي لا يسمع لموجه غطيط[4].

ومن تلك الموائد تكرَّعَ أهلُ البيتِ الأمَاجد الذين فازوا بقول الله فوزاً كثيراً ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، أو أنَّ المُرادَ بالفضلِ العلمُ النافع، ضد الجهل السُّم النَّاقع، فقد شبه العلم بالماء الزلال، بجامع أنَّ كُلاًّ فيهِ حياة في الدنيا والمآل، فإن العلم فيه حياة القلوب والأرواح، والماء فيه حياة الأجساد والأشباح، ففي كل من الجهل والفضل استعارة بالكناية، وإثبات الموارد تخييل، كما يعلم العارف النبيل أو من إضافة المشبه به للمشبه[5].

(1) انظر لسان العرب لابن منظور، حرف الكاف.

(2) لسان العرب: (308/8).

(3) مختار الصحاح، ص: 240.

(4) صوت النائم عند ترديد نَفَسَه.

(5) وكلما عرفته تغلغل فيك، فتفنى فيه محبة، فتختلط محبته بقلبك فيصير فيك: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ)، وكلما ازددت محبة فيه ارتفعت في الإيمان، وهنا نتذكر الصدِّيق (شرب النبي حتى ارتويت) (فَشَرِبَ حتَّى رَضِيتُ)، وهي المحبة الكاملة والفناء في النبي، فسرُّ الترّقي حُبُّ النبي ﷺ. وطلب سيدي ابن مشيش أن تكون هذه المعرفة الكاشفة: أَسْلُمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ بِكَ وَبِهِ، فلا أدخل إلا مدخل صدق، ولا أخرج من أي شبهة إلا مخرج صدق. وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ، شربا هنيئا واصلا من الله إلى حبيبه.

[وَاحْمِلْنِي عَلَى] متن [سِبِيلِهِ] لأكون سائراً به [إِلَى حَضْرَتِكَ] الأقدسية المنزهة عن الأَيْنِيَّة والحيثية، والحمل في الأصل الركوب، والسبيل الطريق(1)، فقد شبه الطريق بدابة تركب إلى دار الملك، وطوى أثر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحمل، والمعنى: اسلك بي طريقته، بأن توجد لي باعثة تسيرني عليها وتجعلني عاملاً بشريعته، أو احملني على كاهل العناية الأزلية، بما تخلقه فيَّ مِنَ القُدرة الربانية على الطاعة المَلَكِيَّة، وبالجذبات الإلهية والنفحات الرحمانية إلى حضرة قربك الخاص بالخواص أهل التخصيص والاختصاص.

[حَمْلًا] بكسر الحاء وفتحها، قالوا الحَمل بالفتح ما يحمل في البطن والجمع حمال وأحمال، وفي التنزيل [حملت حَملاً خفيفاً]، وبالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس. وكل بارز أو منفصل حِمل بالكسر، وكل متصل أو باطن حَمل بالفتح(2).

[مَحْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ](3) أي محفوظاً من كل عائق لأصل إليك بعنايتك، فإن الحمل إذا خلا عن المعونة والتأييد ربما ضل عن طريق الشكر من السكر، فوقف عن المزيد.

وحملاً: مفعول مطلق لقوله "واحملني"، ومحفوفا: صفة لحملاً، وحف القوم بالشيء وحواليه: أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا. ﴿تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75]، وفي حديث أهل الذكر: (فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ) ، أو يحدقون بهم ويدورون حولهم ويطوفون)، وأنشد ابن الأعرابي:

(1) والمراد الشريعة والسنة المحمدية.

(2) مختار الصحاح ، ص: 81.

(3) من يميني وشمالي وأمامي وخلفي وفوقي وتحتي، فكل طريق له مخاطره، وإلا لاحترقت، فهذا مقام (أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)، فهذه النصرة الرَّبَّانِيَّةِ هي طلبي، فالعقبات البشرية التي لا تقوى على رؤية الحق أو الدخول إلى الحضرة القدسية والتنعم بأنوارها لابد لها من عون ومغالبة وهي النصرة ففيها مغالبة، أي بمدد خارجي عني وهو منك، فأصير جند من جنود الحضرة.

كَبَيْضَةِ أُدْحِيٍّ بِمَيْتٍ خَمِيلَةٍ .·. يُحَفِّفُهَا جَوْنٌ بِجُؤْجُئِهِ صَعْلُ(1)

والنصر: الإعانة والقوة والتأييد، أي ويكون ذلك الحمل الإكرامي التشريفي التخصيصي التعريفي محوطاً بقوتك وتأييدك.

[**وَاقْذِفْ**]: وارم(2)، [**بِي عَلَى الْبَاطِلِ**] ضد الحق، والجمع أباطيل على غير قياس، كأنه جمع أبطال وأبطيل، هذا مذهب سيبويه. وفي "التهذيب" ويجمع الباطل بواطل(3)، والباطل: اسم يعم اللهو والفساد والسحر وابليس. والقذف: الرمي بقوة سواء كان بالحجارة أو الحصى أو اللسان.

[**فَأَدْمَغَهُ**]: أي أمحقه، وفي التنزيل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء:18]،، أي يعلوه ويغلبه ويبطله. قال الأزهري فيدمغه: فيذهب الصغار والذل(4)، أي اجعل الحق مصحوباً بي فأذهب به كل مشغل عنك واجعلني وجهة من وجوه الحق الذي ينحق به الباطل، ويثبت به الحق، فلا يقابلني باطل إلا انعدم واندرس بنيانُه وانهدم، أو ارم بوجودي الثابت بتجلِّيكَ عليه بالصفة الوجودية على الباطل من صفاتي الوهمية، فأمحقه بك فيظهر لعياني ويتحقق جنابي، فناء ما لم يكن وبقاء من لم يزل.

[**وَزُجَّ**]: بالتشديد، أيْ ألقي [**بِي**]، أي ارفعني برفق وأدخلني [**فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ**]، أي توحيدها الشبيهة بالبحار باتساعها وعمقها وعظمتها، والأحدية في اصطلاح القوم:

---

(1) لسان العرب لابن منظور، (9/ 49) . والصعلة الدِّقة والنحول والطول والخفة في البدن.

(2) وَاقْذِف: وارم بقوة وشدة، بِي من غير حول مني ولا قوة عَلَى جيش الْبَاطِلِ، وهو كل شيء إلا الله، ومنه الأغيار والسوى، وخاصة اللهو والفساد والسحر وابليس.

(3) لسان العرب لابن منظور: (56/11).

(4) لسان العرب: (425/8).

عبارة عن مجلى ذاتي ليس للأسماء والصفات ولا لشيء من مؤثراتها ظهور فيه، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وهذا المجلى هو أول تنزلات الذات من ظُلمَةِ العماء إلى نُور المجَالي، فأعلى تجلياتها هذا التجلي لتنزهها عن الأوصاف والإشارات والنسب والاعتبارات بحيث وجود الجميع فيها، لكن بحكم البطون والظهور كما هو في الإنسان الكامل مسطور[1]، ولقد قال فيه لا برحت الإمدادات توافينا وتوافيه[2]:

عَيْنِي لِنَفْسِكَ نُزْهَةٌ فِي ذَاتِهَا ∴ وَتَقَدَّسَتْ فِي اسْمِهَا وَصِفَاتِهَا
فَاشْهَدْ لَهَا مَا تَسْتَحِقُّ وَلا تَقُلْ ∴ نَفْسِي اسْتَحَتْ مِنْ حُسْنِهَا بِثُبَاتِهَا[3]
وَاشْرَبْ مَدَامَكَ بِالْكُؤسِ وَلا تَقُلْ ∴ يَوْمًا بِتَرْكِ الرَّاحَ فِي حَانَاتِهَا[4]
مَاذَا يَضُرَّكَ لَوْ جَعلْتَ كِنَايَةً ∴ عَنْكَ اسْمَهَا وَحَفِظْتَ حُرْمَةَ ذَاتِهَا
وَجَعلْتَ مَجْلَى الذَّاتِ لاسْمِكَ مَظْهرًا ∴ وَألْغزْتَ فِي أَسْمَائِهَا وَسِمَاتِهَا[5]
وَأَقَمْتَ فَوْقَ الْكَنْزِ مِنْكَ جِدَارَهَا ∴ كَي لا يُشَاهِدُ جَاهِلٌ حُرُمَاتِهَا

وهذه الأحدية بلسان العموم هي الكثرة المتنوعة، فهي في المثل كمن ينظر من بعد إلى

(1) يريد كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) للإمام عبدالكريم الجيلي ت 805هـ.
(2) نسبها البعض إلى الحلاج (ت309هـ) في قصيدة في سبعة أبيات باسم (همس الأرواح)، ذكر الشارح منها ستة أبيات، والسابع هو: ذي الأمانة آن بها نعم الأمي ... ن ولا تدع أسرارها لوشاتها. وذكرها الجيلي في الإنسان الكامل دون عزوها.
(3) في الأصل (بشياتها)، والصواب ما أثبتناه (بثباتها).
(4) في الأصل (الكاس)، والصواب ما أثبتناه (الراح). ومدامك: من الدوام والثبات، والراح الخمر.
(5) في الأصل (وألغزت في)، وفي نسخ (وَالْعِزُّ مَظْهَرُ)، والمعنى متقارب في المقصد النهائي.

جدار بُنِيَ من الطين والآجر والخشب ونحو ذلك[1]، ولكنه لا يَرى شيئاً من ذلك ولا ينظر إلا جدارًا فقط، فكانت أحدية هذه الجدار مجموع الطين، وغيره لا على انه اسم لهذه الأشياء بل على أنه اسم لتلك الهيئة المخصوصة الجدارية.

كما أنت مثلا في مشهدك واستغراقك في إنيّتِكَ التي أنت بها لا تشاهد باعتبار هويتك، ولا يظهر لك من شهودك فيك هذا المشهد شيء من حقائقك المنسوبة إليك على أنك مجموع تلك الحقائق، فتلك هي أحديتك على أنها اسم لمجلاك الذاتي باعتبار هويتك لا باعتبار أنك مجموع فافهم. وإن أردت الزيادة فعليك بكتابنا (الرياض القدسية على التوجهات الدمرداشية).

[وَانْشُلْنِي][2]: أي خلصني وحقق إخراجي، **[مِنْ أَوْحَالِ]** زلقات **[التَّوْحِيدِ]**،

(1) الآجر اللَّبِن المُحْرَق المُعَدُّ للبناء، وتتكوَّن المادّة المحرقة من الطِّين أو أي مخلوط آخر كالجير والرَّمل أو الأسمنت والرَّمل.

(2) ولمّا كان راكب البحر على خَطَرٍ، إمّا أن يَسْلَم، وَإمّا أنْ يَغرَقَ، طلبَ النجاة من الغَرَقِ في بحرِ الأوهامِ، أو في بحرِ الشكُوكِ والخوَاطرِ، أو في بحر الزَّندقةِ والإلحادِ، أو التشبيه والتجسيد، أو القول بما لا يليق على الله تعالى، أو في حق نبيه الكريم، فقال: وَانشُلْنِي وخلِّصنِي وأنْقِذْني بسرعة، مِنْ أَوْحَالِ وخَضْخَاض ومخاوف المقام في الأحدية وتكدير وتخليط التَّوْحِيدِ المُوقِعَةِ فِي ظُلُمَاتِ الشُّبَهِ وَالتَّرْدِيدِ من مخاوف ومزالق الاعتقادات الرديئة الباطلة ومن متشابهات الأحكام التي زلت فيها أقدام الكثيرين إلا من رحم الله تعالى، فلا تسلك بي مسلك من شطح في كلامه واصطلم، أو ممن لُبِّسَ عليه الأمر، فقال بالحلول والاتحاد، أو ممن غلبت عليه الحقيقة فادعى الجبر ونفى الحكمة والأحكام، لأن صاحب الفناء إن لم تدركه العناية الإلهية أنكر ثبوت الآثار ومنها الرسل وما جاءوا به بل والعالم برمته، وتخليصه من تلك الأوحال نقله من مقام الفناء إلى مقام البقاء، من خلال رسو سفينة الإبحار في بحار الأحدية إلَى شاطئ فضاء التفريد وهو المرتبة التي لا تتقيد بقيد أصلا، المجردة عن اعتبار النسب والإضافات، وإلى فَضَاء تَنْزِيهِ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ فإن كان صاحبُ السَّفينة رئيساً ماهراً آوى به إلى جَبلِ السنَّة المحمَّدية، فكانَ من الناجين النَّاجينَ، وإن كانَ صاحبُ السَّفينة جاهلاً بالبحر، آوى به إلى جبلِ عقلِهِ وحَدْسِهِ، فالتَطَمَتْ بِهِ الأمواجُ فكان من المُغرقينَ.

يقال نشل الشيء ينشله نشلاً أسرع نزعه[1]، وإنما قال ذلك بعد طلبه الزج في بحار الأحدية؛ لأنَّ المزجوج في هذه البحار إن لم تدركه العناية ينكر بثبوت الآثار، ومنها الرسل وما جاءوا به، بل العالم برمته، ويقول كما قال الحلاج: وقد عدل عن واضح المنهاج: (ما في الجبة إلا الله)؛ لأنه مشاهد للذات دون الأسماء والصفات والعوالم إنما نشأت بمظهرهما. ومعنى تخليصه من تلك الأوحال نقله لمقام البقاء والجمال. والأوحال جمع وَحْل بالتحريك ويسكن، وهو الطين الرقيق الذي ترتطم فيه الدواب، واستوحل صار فيه الوحل، وحل وقع في الوحل:

فتولَّوا فَاترًا مَشْيُهُمُ .:. كرَوايا الطِّبع هَمَّت بالوَحَلْ[2]

والتوحيد لغة: الحكم بأن الشيء واحد، واصطلاحا: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام، وله مراتب ثلاثة:

• **الأولى**: توحيد الذات وهو مقام الاستهلاك والفناء فلا موجود إلا الله.

• **والثانية**: توحيد الصفات، وهو أن يرى كل قدرة مُتفرّقة فِي قُدرته الشاملة، وكل علم مضمحلاً في علمه الكامل، بل يرى كل كمال لمعة من عكوس أنوار كماله.

• **والثالثة**: توحيد الأفعال: وهو أن يتحقق ويعلم بعلم اليقين أو بعين اليقين أو بحق اليقين أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى.

وقال في مفتاح الفلاح[3]: قال الغزالي: التوحيد أنْ يَرى العبد الأمور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر إلا منه،

(1) لسان العرب: (661/11).
(2) لسان العرب: (661/11).
(3) وكلام الإمام الغزالي في الإحياء (33/1)، وانظر: مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح)، لسيدي ابن عطاء الله السكندري (ص: 72).

ومِن ثَمرة ذَلكَ التوكل وترك شكاية الخلق، وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى، وكأن التَّوْحِيد جَوْهَرٌ نَفِيسٌ وَلَهُ قِشْرَانِ أَحَدُهُمَا أَبْعَدُ عَنِ اللُّبِّ مِنَ الآخَرِ فَخَصَّصَ النَّاسُ الاِسْمَ بِالْقِشْرِ وَأَهْمَلُوا اللُّبَّ. فَالْقِشْرُ الأَوَّلُ قول لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَهَذَا يُسَمَّى تَوْحِيدًا إلا أنه مناقض للتثنية والتَّثْلِيثِ وقَدْ يَصْدُرُ عَنَ الْمُنَافِقِ، والْقِشْرُ الثَّانِي أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْقَلْبِ مُخَالَفَةٌ وَلا إِنْكَارٌ لِمَفْهُومِ هَذَا الْقَوْلِ بَلْ يَشْتَمِلُ ظَاهِرُ الْقَلْبِ عَلَى اعْتِقَادِ ذلكَ والتَّصْدِيقُ، وَهذا تَوْحِيدُ عَوامِّ الخلْقِ وَالْمُتكَلِّمُونَ فِيهِ حُرَّاسُ هَذَا الْقِشْرِ عَنْ تَشْوِيشِ الْمُبْتَدِعَةِ. الثَّالِثُ : وَهُوَ اللُّبُّ: وهو أَنْ يَرَى الأُمُورَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى رُؤْيَةً تَقْطَعُ الْتِفَاتَهُ عَنِ الْوَسَائِطِ وَأَنْ يَعْبُدَهُ عِبَادَةً يُفْرِدُهُ بِهَا، فَلا يَشْهَدُ سِوَاهُ. ولَقَدْ أَشَارَ بَعْضُهُم لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

مَا سِوَى الْحَقِّ ذَاكَ مَحْضُ خَيالٍ ∴ كَخَيَالِ الإِزَارِ فِي التِّمْثَالِ

صُوَرٌ تَنْجَلِي وَتَفْنَى وَمُنْشِيهَا ∴ فَبَاقٍ بَقَـــاي بِغَيْرِ زَوَالِ

سَاهِرِ الطَّرْفِ يَرْتَجِى قُرْبَ قُرْبٍ ∴ مُتْ بِحُبٍّ لِتَحْتَظِى بِالْوِصَالِ

غُصْ بِحَارَ الْفَنَا وَعَنْ ذَاكَ فَافْنَا ∴ غَاصَ بَحْرَ الْهَلاكِ صب اللآلِي

وَادْخُلْ الْحَيَّ حَي أَهْلِ التَّصَابِي ∴ وَتَصَابَى مَا بَيْنَ تِلْكَ التَّمَالَي

بُغْيَةٌ بَغْتَةً يَلُـوحُ سَنَاهَا ∴ فَيُرِيكَ الْجَمَالَ ضِمْنَ الْجَمَالِ

عَالِيَا قَدْرُهَـا رَفِيعٌ مَنِيعٌ ∴ وَالتَّدَانِي مِنْ حَيِّهَا ذَاكَ غَالِي

لَبِسَتَ بُرْدَةَ الْكَمَالِ فَتَاهَتْ ∴ عَاشِقُوهَا زَهْوًا عَلَى الأَقْيَالِ

مَنْ يَذُقْ مِنْ لَذِيذِ طَعْـمِ لَمَاهَا ∴ لَمْ يكُنْ لِلْقِيَامِ عَنْهُ بِسَالِ

لا يَغِيبُوا عَنْهَا وَطَيِّبُوا تُصِيبُــوا ∴ وَجْهَ حُبٍّ يَجْلى بِكُلِ الْمَجَالِ

والأوحال التي في طريق السيار ومعارج التوحيد الخاص بكل طيار، فهي كثيرة تعرض للسالكين، وغالبها قبل وصوله لمنازل التمكين[1]، لكن من وجد معه الدليل، كان مأموناً في شربه من هذا السلسبيل، ولما تلوح له اللوائح وتفوح عليه من الحمى الفوائح لا يتمالك من خلع العذار والشطح عند ارتفاع الأستار، وإذا شرب وذاق طِيبَ ذلك المذاق، طلب الرِّي فلم يجد إليه من طريق، فيزداد تعطشه بالتهاب وحريق، فيتواجد ثم يلمع له بارق الوجد والوجود[2]، فيغيب بتوحيد الأحد عن الوجود، وتسطع إليه لوامع الجمع، فيفنى بها عنه، وينفجر بقلبه سر جمع الجمع، فينسحق بعدما ينمحق، ثم يرقى بعدما يسقى لمقام البقاء، ويرجع بهذا الارتقاء للفرق الثاني بعد الغيبة عنه بهوامع التداني[3]. وهذه الوحلات كم هلك فيها هالك، إذا لم تساعده عناية القدير المالك وبسطه العارف البكري في شرحه: جعل الله منحنا من منحه وفتحنا من فتحه.

---

(1) ولمزيد من التفاصيل حول ذلك يُراجع (منازل السائرين إلى الحق عز شأنه)، للإمام الهروي.

(2) خلع العذار (ترك الحياء، وتحرر من الخجل) والشطح (أقوال أو عبارات عليها رائحة رعونة واندفاع، يكون ظاهرها مستبشعاً، لكن باطنها صحيح مستقيم، والدافع إلى الشطح، هو محاولة التعبير عن معان بالغة الدقة بمفردات شديدة العمومية) من المواجيد الصوفية، و(البارق) وارد ينقطع سريعا، وهو من أوائل الكشف، والتواجد هو استفعال الوجد، والوجد انفعال القلب، والوجد ثمرة للواردات الإلهية.

(3) الهوامع: هَمَعَتِ العَيْنُ: أَسَالَتِ الدَّمْعَ.

[وَأَغْرِقْنِي][1]: أي اغمرني واجعلني مستغرقاً [فِي عَيْنِ] أي حقيقة ذات [بَحْرِ] توحيد [الْوَحْدَةِ] الذاتية، وهو شهود الذات متصفة بالأسماء والصفة. ويسمى صاحبه في مقام البقاء، وفي مقام جمع الجمع، فيستدل على الصنعة بالصانع. والوحدة كون الشيء لا ينقسم كالجوهر الفرد عند الأشعرية، والنقطة عند المهندسين[2]، والجوهر المفارق عند الحكماء[3]، ووحدة الباري سبحانه ذاتية يستحيل عليه التجزؤ والانقسام، فلا مثل له ولا نظير ولا شبيه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وفي اصطلاح القوم عبارة عن علمه تعالى بذاته وبصفاته وبجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير تمييز بعضها عن بعض، وهذه مرتبة التعيين الأول وجملة المرام، في هذا المقام أن

---

(1) ولمّا طلبَ النَّجاة منَ الغرَقِ في بحر التخليط، طلبَ الغرَقَ في بحرِ الصَّفاء، وهي الوحدة الحقيقيَّة، فقال: (وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ) حقيقة (بَحْرِ الْوَحْدَةِ) وهو مقام جمع الجمع، يكون الجمع في باطنه موجوداً والفرق على ظاهره مشهوداً، أي ردَّني إلى البقاء بعد الفناء لأصلح للخلافة في الأرض وأكمل غيري. فعين الوحدة (وهي الفرق) أن العابد هو المخلوق المكلَّف بعين النظر إلى الصفة وأثرها والنظر إلى الفعل ولكن بعين النظر إلى الحقيقة (الجمع) فالاستعانة بعين الأحدية، فنحقق إياك نعبد (توحيد - فرق – إسلام – شريعة عبودية)، ونقيم إياك نستعين (أحدية - جمع – إحسان – حقيقة – عبودة) حيث نعبدك ونحن في الظاهر متعددون وفي الحقيقة نستعين بواحد، فأنت الفاعل فينا، فالحقيقة هي {قلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ} {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ حقيقة وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ شريعة وهذا بجهلك وخلل فيك، فلا نسبة لنفسك مطلقا، بل المنعم هو الله.

(2) تستخدام النقطة الدائرية من قبل فيثاغورس وفي وقت لاحق اليونانيين لتمثيل الجوهر الفرد أو الوجود المطلق.

(3) الفلاسفة

المصنف قدس الله سره، وبقربه الأتم سره أشار إلى ثلاثة مقامات(1):

• الأول: مقام السائرين إلى الله المستدلين بالصنعة على وجود الصانع، وإليه أشار بقوله: (وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ).

• والثاني: مقام أهل الفناء المحض، الذين غرقوا في توحيد الأحدية، فلم يشهدوا سوى ذات الله وإليه أشار بقوله: (وَزُجَّ بِي...)، ولما كان مقام سكر وخروج عن طور البشرية وعن حد التكليف قال: (وَانْشُلْنِي... إلخ).

• والثالث: مقام البقاء وأهله يشاهدون الصنعة بوجود الصانع لكونهم شهدوا قبل كل شيء ذات مولاهم وصفاته وأسمائه وإليه أشار بقوله: (وَأَغْرِقْنِي... إلخ)(2). قال بعضهم:

مَا فِي الْوُجُودِ سِوَى جَمَالُكِ أَشْهَدُ(3) ∴ كلا وَلا فِي الْعَيْنِ غَيْرُكَ يُوجَدُ

(1) وهنا لا بد من التأكيد على أن الصوفي يتدرج من كونه يرى الله في كل ما يراه، إلى أن يصير {لا يرى إلا الله في كل ما يراه، ويعلم أن الله يراه}، فالوحدة الشُّهُودِيَّةِ ليست هي وحدة الوجود بمعنى الحلول والعياذ بالله، فلم يقل بذلك أي من علماء الصوفية مطلقا، إذ كيف يحل سبحانه وتعالى في أكوان هو مستغنٍ عنها، وليس لها وجود بذاتها، بل كانت عدم، وكان الله ولا شيء معه، والواحدية هي رؤية الصفات عاملة في الأكوان منسوبة إلى فاعلها مع تعدد صورها، وتعدد الصور لا يدل على تعدد الفاعل، وتعدد الخلق لا يدل على تعدد الخالق بل على كمال قدرة الخالق، فالخالق واحد، ولذلك فالغرق في عين بحر الوحدة الشهودية مطلوب، فهو طلب الفناء (في الأحدية، والذات)، ثم العودة إلى أرض التكليف، وهي وحدة الشهود حتى لا يكون غائبا عن الحس فانيا فلا يُكَلَّف، فالتكليف تشريف، وذلك لا يتم إلا مَعَ الْقِيَامِ بِأَدَاء حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ.

(2) وهذه المقامات هي ذات معاني الأسفار الأربعة للشيخ الأكبر سيدي ابن عربي.

(3) وكلمة (أشهد) غاية في التعبير والجمال، وقد تكون بمعنى أشاهد أي أرى (فلا أرى إلا الله في كل ما أراه)، والأكمل أن تكون بمعنى أشهد وأقر أنه لا موجود على الحقيقة سواك كقولك (أشهد أن لا إله إلا الله).

وما أشار إليه رضي الله عنّا به، وسقانا من كأسه بشربه، هو معنى الحديث القدسي: المفاض بالفيض النفسي[1]: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[2] الحديث، ولقد أفاده بعضهم بقوله:

وَلَقَدْ تَصَافَيْنَا الْمَحَبَّةَ بَيْنَنَا ∴ فَأَنَا وَمَنْ أَهْوَى كَشَيءٍ وَاحِدِ
لا زِلْتُ أَقْرَبُ مِنْهُ حَتَّى صَارَ لِي ∴ بَصَرِي وَسَمْعِي حَيْثُ كُنْتُ وَسَاعِدِي
فَإِذَا رَأَيْتُ فَلا أَرَى إلا بِهِ ∴ وَإِذا بَطَشْتُ فَلا يَزَالَ مُسَاعِدِي
إِنْ شِئْتُ شَاءَ وَإِنْ أَمَرْتُ فَأَمْرُهُ ∴ أَمْرِي وَفِيهِ لَقَدْ بَلَغْتُ مَقَاصِدِي
فَأَنَا الذِّي مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا ∴ مَا شَاءَ يَصْنَعُ حَاسِدِي وَمُعَانِدي

فالإشارة إلى مقام السائرين بقوله: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ»، وإلى مقام الفناء بقوله: «حتى أحبه»، وإلى مقام البقاء بقوله: «فإذا أحببته كنت سمعه... إلخ». ومعناه كنت مشهوده قبل كل شيء فأنا سمعه ومسموعه وبصره ومبصوره ويده وبطشها ورجله ومشيها لكونه يشهدني قبل كل شيء، وهذه آثار لا ترى إلا بعد

---

(1) وهو الحديث القدسي، ومصطلح الكلام النفسي خاص بعلماء الكلام فليراجع في مظانه من المطولات.
(2) أخرجه البخاري، ح 6502.

شهودي[1]، وهو معنى قول بعضهم عن الحضرة العلية:

هذه آثارنا تدل علينا .:. فانظروا بعدنا إلى الآثار

فقوله: "هذه آثارنا" أمر بالسير لمن يستدل بالصنعة على الصانع، وقوله: "فانظروا بعدنا"؛ أي بعد الفناء فينا بسيركم إلينا، إلى الآثار؛ أي فاشهدوا آثارنا بعد شهودنا، وهو مقام البقاء، وهذا المعنى قال فيه سيدي عبد الغني النابلسي أفاض الله علينا فتحه القدسي شعراً:

دَعْ جَمَالَ الْوَجْهِ يَظْهَرْ .:. لا تُغَطِّى يَا حَبِيبِـــي
كُلُّ شَيْءٍ عَقْدُ جَوْهَرْ .:. حِلْيَةُ الْحُسْنِ الْمَهِيبِ

كلامه الرائق وهو متداول بين الخلائق، والمعنى كل شيء محكوم عليه كعقد جوهر، ومحكوم عليه بأنه حلية ذي الحسن المهيب، أي ذي الهيبة والجلال، وهذا كقول بعض العارفين:

وَحَيْثُ الْكُلُّ مِنِّي لا قَبِيحٌ .:. وَقُبْحُ الْقُبْحِ مِنْ حَيْثِي جَمِيلُ

وقال بعضهم (مواليا):

(1) وهو أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل؛ فلا يسمع إلا لله، ولا يبصر إلا لله، أي: ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل، مستعيناً بالله في ذلك كله. والمراد: أن الله تعالى يتولى محبوبه في جميع أحواله، فحركاته وسكناته به تعالى وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، وإنما المراد: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربة إليه؛ ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان؛ فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه؛ حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة؛ فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره؛ فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به.

كُـلُّ الْجَمَـالِ جَمَـالُ اللهِ مَـا فِيــهِ شَكٌّ ∴ لَكِنَّ شُهُودَكَ الْغَيْرَ أَوْقَعَكَ فِي الشَّكِّ[1]

وَالذَّاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ مَا فِي الْحَقِيقَةِ شَكٌّ ∴ يَا رَائِدُ الْعَيْنِ إِنْ حَقَّقْتَه زَالَ الشَّكُّ

كذا قرره العلامة الصاوي، غفر الله لنا به المساوئ.

ثم علل المؤلف ذلك الإغراق والشرب من ذلك المذاق بقوله **[حَتَّى]** بمعنى كي **[لا أَرَى]** ببصري وبصيرتي **[وَلا أَسْمَعَ]** بسمع روحي وحاستي، **[وَلا أَجِدَ]** من الوجدان **[وَلا أُحِسَّ]** من الإحساس، **[إِلَّا]** أداة حصر **[بِهَا]** بالموحدة المطلقة فأكون جامعاً بين مقام الفناء ومقام البقاء[2].

قال وارثه أبو الحسن الشاذلي[3]: مَنْ لَمْ يَتَغَلْغَلْ فِي عِلْمِنَا هَذَا مَاتَ مُصِرّاً عَلَى الكَبَائِرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

---

(1) فالأمر بالنسبة للمخلوق نسب، ومن عند الخالق مطلق، كله خير.

(2) تَحَقُّقاً وَتَعَلُّقاً وتشرعا فلا يرى المنكر إلا وينكره، وهكذا. فحق الشريعة ألا تقبل المكروه، وحق الحقيقة أن ترضى بقسمة الله، وهذا غاية الإغراق في الغيبة عن الأكوان بشهود المكون وحينئذ يدوم سروره وأنسه ويصير في جنة معجلة بإتحافِ عطية وهبة عِنَايَةٍ وحفظ ورعاية «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِى بِهَا» وفي رواية أخرى (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ)، فإذا نظرت بعين الحقيقة قلت ليس في الإمكان أبدع مما كان، وإذا نظرت بعين الشريعة أمرت ونهيت، وبذلك تكون سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِى بِهَا، وهي وحدة الشهود ولما علم العبد حقيقة ذلك علم أن دخول الجنة على الحقيقة ليس بالعمل وإنما برحمت الله، لأنك إذا نسبت العمل فانسبه إلى فاعله على الحقيقة وهو الله، وأنت لم تعمل بل هو الذي أيدك ووفقك وعبد نفسه على جوارحك، فإنه «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلاَّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْتَ قَالَ: «وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِىَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ».

(3) فالقطب سيدي أبي الحسن الشاذلي هو وارث سيدي عبد السلام بن مشيش صاحب الصلاة. وَفِي هَذَا القَوْلِ يَقُولُ ابْنُ عَلَّانَ الصديقي (وَلَقَدْ صَدَقَ فِيمَا قَالَ - يَعْنِي أَبَا الحَسَنَ الشَّاذِلِيّ- فَأَيُّ شَخْصٍ يَا أَخِي يَصُومُ وَلَا يُعْجَبُ بِصَوْمِهِ؟ وَأَيُّ شَخْصٍ يُصَلِّي وَلَا يُعْجَبُ بِصَلَاتِهِ؟ وَهَكَذَا سَائِرُ الطَّاعَاتِ).

قال الشيخ أحمد الصاوي[1]: المراد به من لم يجمع بين المقامين الفناء ثم البقاء.
وقال سيدي محمد وفا رضي الله عنه وعنَّا به عفا:

وَبَعْدَ الْفَنَا فِي اللهِ كُنْ كَيْفَ مَا تَشَا .·. فَعِلْمُكَ لا جَهْلٌ وَفِعْلُكَ لا وِزْرُ

ولمَّا عَلِمَ المُؤلف صب الله على قبره شَآبيب الرّضوان وبلغنا به لطائف العرفان أن كمال التوحيد والعبودية والمعرفة الاختصاصية، لا تكون إلا بالاستقاء من يد الحبيب الأعظم ﷺ[2]، قال: **[وَاجْعَل الْحِجَابَ الأَعْظَمَ]**[3] الذي هو المصطفى ﷺ **[حَيَاةَ رُوحِي]** أي مددها[4]؛ لأرى وجهه المحمدي في كل طرفة عين ويزول عني

(1) في شرحه على الصلاة المشيشية.
(2) فرجع إلى مقام الفناء، فقال:]وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الأَعْظَمَ حَياةَ رُوحِي[.
(3) وسبق بيان الكثير من المعاني حول الحجاب، وذلك عند قوله: وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ.
(4) وسببها. فالروح هي التي تعطي المادة الحياة، وروح الروح هو حقيقة الإنسان وهو ما يعطي الحياة للروح، فالمؤمن مادة وروح وحياة الروح (روح الروح)، المنَعَّمة في حضرة الشهودِ الباقية التي لا تفتر ولا تَبِيدُ حتَّى تَرِد يوم المزيد (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ)، والكافر مادة مَيّت الروح، ولذلك هم (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)، ولذلك كان الطلب الأعظم أن يجعل سيدنا رسول الله ﷺ، أي مادة سيدنا رسول الله ﷺ - وهي روحه - يجعلها حياة روحه، أي حقيقته، فالروح الأولى؛ أي روح سيدنا النبي ﷺ هو مادته وروحه هي روح الروح وهي حقيقة سيدنا النبي ﷺ، وروح روحه الحق الأول. إذن فأدنى ما في الرسول ﷺ هو أرقى ما في البشر، وإذا انتقلت إلى روح روح مادته خرجت عن المقاييس والأشياء. فالبشر: مادة، وروح، وروح الروح (حياة الروح، وهي حقيقته، أي حقيقة الروح)، والنبي: مادته على الحقيقة نورانية، وأول مرتبة لها هي الروح، ثم روح الروح له، وحقيقته إلى الحق كما ورد عن إمام الدعاة سيدنا الشيخ الشعراوي في تعليقه على المشيشية.

في مشهدي الأين والبين[1]. فأقول إذا حدثت بهذه النعمة خلاَّني ليعرفوا ما الذي به حَلَّاني، خصّني برؤية وجه زال عن كل من رآه الشقاء، فهو ﷺ روح جسد الكونين، وعين حياة الدارين، فكما أن الله جعل الماء حياة الأشباح كذلك جعل محمدا حياة الأرواح، بل هو روح روحها، واجعل [رُوحَهُ] العلية الطاهرة الزكية، الممدة لسائر الأرواح مشهودة لي بفيض امناح [سِرَّ حَقِيقَتِي] أي باطنها التي قام وجودي عليها ونسبة إليها لأكون مستمداً منه وآخذا عنه[2]، واجعل [حَقِيقَتَهُ] المحمدية الأوحدية التي هي حقيقة الحقائق، وينبوع الرقائق والدقائق[3]، [جَامِعَ عَوَالِمِي]: أي جميع أجزائي مشغولة به ظاهراً وباطناً، فأشهده بعين العيان، وأتحقق

---

(1) والواسطة: القبضة النُّورانية التي تكثفَت وبرزَتْ منَ الجبروت، وسُمِّيَتْ محمَّدًا ﷺ، فمَن ألحقَهَا بِأصلِها، ولم ينظر إلى حكمةِ إظهارِها، أنكرَ الواسطة، وكانَ ناقصًا أو ساقطًا، ومن نظرَ إلى حكمَة إظهارها، وأنها ثابتة بإثباته، مَمْحُوَّة بأحدية ذاتهِ، أقرَّها بالله، وقام بحقوقها، وهي أحكام الشريعة، فلا بدَّ مِنْ إثباتِهَا وُجُودًا، والغَيبَة عنهَا شهودًا. والواسطة من عين المَوْسُوط، فمَن وقفَ مع الواسطة، وحُجبَ عن الموسوط، كان جاهلًا بالله، غيْر عارف بهِ،
ومن حُجبَ عن الواسطة بالموسوط، فإن كان مجذوبًا غائبًا، كان ناقصًا، وإن كان صاحيًا كان ساقطًا، ومَن جمعَ بينهما كانَ محقّقًا كاملًا.

(2) فحقيقة الإنسان هيَ رُوحُهُ، فيعني به أن يكون فرعا من أصله ومستمدا من روحه، لأن روحه الشريفة بها قيام حقيقتي وانتظامها، لأن حقيقة الإنسان هي اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان إنساناً، فتسمى: نفساً: في مقام الإسلام (أوامر ونواهي وشريعة)، وقلبا: في مقام الإيمان، وهو التصديق، وروحا: في أول مرتَبَتَي الإحسان وهي المراقبة في أولاها (فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (لأن الروح دَرَّاكة، تدرك الحقائق الأولية، ولا حقيقة فوق الحق، فتصير ترى الله في كل شيء)، وسرا: في ثانيها وهي المشاهدة، (كَأَنَّكَ تَرَاهُ - فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى - حيث يتجلى الله تعالى على الروح بالمشاهدة والمعرفة صارت سرا، لسر التجليات، وسمي سرا لأن الكثير ممن يتكلم عنه غالبا يُخطئ العبارة فيقول ألفاظا مبهمة لأن العبارة أضيق من التجلي. ومن أباح بالسر قُتِل شريعة كما فُعل بالحلاج). وهذا الطلب حَتَّى أَتَذَوَّق سِرَّ التكليف والخلافة وحمل الأمانة.

(3) مِنْ حَيْثُ الْهِدَايَةُ وَالْيَقِينُ.

بوصلته في السر والإعلان، متلقياً عنه بكل لطائفي، محيطاً بي سرا وعلناً، وبإمداده الطامي حافي[1]. قال أبو الحسن الشاذلي: (لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)، وقال تلميذه المرسي: (لو غاب عني طرفة عين ما عددت نفسي من الأولياء)[2]، أي لو غاب عن مشاعري كلها بل متى غاب عن بصري لا يغيب عن بصيرتي. وهذا كما قال ابن الفارض أفاض الله علينا سره الغامض[3]:

وَمَتَى غِبْتَ ظَاهِرًا عَنْ عِيَانِي ∴ فَأَنَا نَحْوُ بَاطِنِي أَلْقَاكَ

[بِتَحْقِيقِ]: أي بثبوت **[الْحَقِّ الأَوَّلِ]** الموصوف بالألوهية التي لا ابتداء لها ولا انتهاء أو بسر تحقيق العهد القديم، أو الذي هو الإنسان الكامل وهو القلم الأعلى والعقل الأول والروح الأنزه الأكمل، والباء إما للقسم أو للمصاحبة متعلقة بالدعوات المتقدمة

---

(1) (جَامِعَ عَوَالِمِي) الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وكافة عوالمي اللطيفة التي هي محل العلم والفَهْمُ، والفكرُ والعقلُ، والنظر والاعتبار، محل المعرفة بتحقيق الحق الأول، وذلك معرفة يوم الميثاق فِي جَمِيع أَطْوَارِهَا الْجَلِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ نفسا وقلبا وروحا وسرًا، فتكون عوالمي كلها منحصرةً في الحقيقة المحمديَّة ظاهرا وباطنا، فارتقِي لِأَتَحَقَّقَ بِالْوِرَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْخِلَافَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الكاملة في إدارة الأكوان وفق مراد الله {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ} فأكون تابعا عاملا {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (لأنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لك من حُمْرِ النّعم).

(2) والتحقيق أن القول لسيدي أبي العباس المرسي، كما جاء في لطائف المنن، والبحر المديد، وغيرهما.

(3) من قصيدة ابن الفارض (تِهْ دَلالاً). والشطر الثاني أوله في بعض النسخ (أُلفِهِ نحوَ باطني ألقاكا).

من قوله (وزج بي) إلى هنا[1].

[يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ][2]:

الأول الذي ليس قبله شيء، ولم يكن مسبوقاً بالعدم، والذي لم يكن لوجوده

---

(1) والحاصل أنَّ ظاهرَهُ ﷺ مُلكٌ، وباطنَهُ مَلَكُوتٌ والجمعُ بينهما جَبَروتٌ، فالحجاب الأعظم حياة روحي يكون بالنظر إلى مُلْكِ ظاهِرِهِ ﷺ، لتحقيق شريعته والاقتداء بظاهره (وهو مقام الإسلام)، وكون روحه سر حقيقتي يكون بالنظر إلى ملكوتِ باطِنِهِ ﷺ والاقتداء بباطنه في كمال أخلاقه (وهو مقام الإيمان)، لتحقيق طريقتهِ، فتكون سُلَّمًا لإشراق نور حقيقته ﷺ، وأن تكون حقيقته جامع عوالمي بالنظر إلى جبَروت جُملته ﷺ، لتكمل حقيقتهُ، وذلك جمعا بين الاقتداء بالظَّاهر والباطن، والتحقق بالحال، وبذلك تتنوَّرُ الحقيقة، ويظهر سِرّها ولذلك ضمَّ جبروت الواسطة، إلى جبروت المَوسوط، فقال: يا رب حقق تخلقك في الآخر (الحق الآخر) ما حققته لنا في الأول (الحق الأول)، وهو أنه منفصل عنك، وأول مخلوق لديك بحق وببركة و (بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ) وهو الله تعالى، إذ هو السَّابق على كل حقٍ ومنه كان كل حقٍ، ومن حيثية أخرى هو الأولية المحمدية المُمِدّة لسائر الخلق في عالَم الأرواح يوم (أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ) أي حققه الآن حتى أستحضره، وأستعين به على دوام الشهود، بإجابته (بلى) حيث كان أول من قال بلى في عالم الذر - من حيث شهود الربوبية والاستغراق في الوحدانية - فتجلى عليه الحق بأنواره فتشبع ﷺ بها، وغمرته، ثم فاضت منه، فصارت نعمة الإيجاد مع الإمداد لكافة الأكوان، فاجعلني مُمَدًّا من هذه الحقيقة إمدادا أرى إمداد النبي فيه ﷺ في كل حال، فِي التَعَيُّنِ الْأَوَّلِ (أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ) بإِشَارَةِ «كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ خَلْقًا وَآخِرَهُمْ بَعْثًا وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا» واللبيب بالإشارة يفهم، فهو ﷺ أول الناس خلقا وآخرهم بعثا، وهو الفاتح والخاتم مَعَ بِشَارَةِ {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ} تحقيقا للسر الأول، والنشأة الأولى.

(2) ثم توجه سيدي ابن مشيش إلى الدعاء ببعض أسماء الله الحسنى، فالأسباب ظاهرة، إلا أنه سبحانه الباطن فيها، فالباطن الذي ظهر بآثاره وبطن بعينه. ولذلك نخرق ظواهر النواميس إثبات لظاهرية الحق. وهذا يساعد على إدراك المعنى الذي ذهب إليه سيدي ابن مشيش بالأسماء الأربعة التي اختارها ومناسبتها للصلاة المشيشية، فبعد كل ما وصفه، ودعا به، توجه إلى الله ببركة هذه الأسماء لعل الله يقبل دعاءه، (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)، فتوجه إلى الله بأسماء تليق بتجلياته سبحانه على الحقيقة المحمدية.

ابتداء، ولا يتوقف وجوده على غيره، بل وجوده لنفسه.

والآخر الذى ليس بعده شيء أو لا نهاية له. قال الفخر الرازي: "هو أول لكل ما سواه وآخر لكل ما سواه فيمتنع أن يكون له أول وآخر لامتناع كونه أولا لأول نفسه وآخرا لآخر نفسه، بل هو أزلي لا أول له وأبدي لا آخر له، بل هو الآخر الذي يرجع إليه الموجودات في سلسلة الترقي أو في سلوك السالكين"[(1)].

والظاهر الذي ليس فوقه شيء والذي ظهر بصنعه وأفعاله، فلا يخفى لظهوره في كل شيء[(2)].

والباطن الذي ليس دونه شيء، أو الذي تَحَجَّب بجلاله وكبريائه فلا يدركه من حيث ذاته ولا يعلم حقيقته شيء[(3)].

قال بعض الكملة: الظاهر إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84][(4)]، ولذلك قال بعض الحكماء: (مثل طالب معرفته مثل من طوّق الآفاق في طلب ما هو معه). والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية وهي التي أشار

(1) مفاتيح الغيب (497/27).

(2) يَا ظَاهِرُ فوقَ كلِّ شيءٍ لَا يَلْحَقُهُ خَفَاءٌ، الواضح الربوبية بالدلائل، والذي ليس فوقه شيء وظهر بصنعه وأفعاله سبحانه، وأظهر الله تعالى النبي ﷺ على كل شيء، ورفع ذكره وأعلى قدره وشرح صدره (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، فأظهره بعد أن كان مبطنه.

(3) جعل الله النبي ﷺ باطنا في الأكوان قبل ظهوره (كُنْتُ نَبِيّاً وَآدمُ بَيْنَ الرُّوح والجَسَدِ).

(4) فتحقق النبي ﷺ بهذه الصفات جميعا، فكان أثرا للصفات وأثرا للأفعال، ولذلك عليك أن نتوجه بهذه الأسماء التي تناسب المقام والتحقق بالوراثة النبوية والخلافة المحمدية، فكأنه طلب من الله بأسمائه ما يليق بطلبه وما تحقق في النبي ﷺ. ولهذه الأسماء الأربعة خواص عظيمة إذ قالوا: من قال بعد صلاة ركعتين خمساً وأربعين مرةً (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) حصل له مطلوبه أيّاً كان.

إليها الصديق ﷺ بقوله: (يا من غاية معرفته القصور عن معرفته) [1].

[اسْمَعْ نِدَائِي][2]: سماع قبول، وأجب دعائي؛ لأبلغ المأمول، والنداء تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه والدعاء الابتهال بالسؤال، ودعوت زيدًا ناديته وطلبت إقباله[3].

[بِمَا سَمِعْتَ] أي بمثل، أو بالذي قبلت [بِهِ نِدَاءَ] أي دعاء [عَبْدِكَ زَكَرِيَّا] عليه السلام بالمد والقصر ابن برخيا من ولد سليمان بن داود عليهم السلام، وإنما خص زكريا؛ لأنه أجيب مع اليأس بطلب من يرثه وهو السيد الحصور يحيى عليه السلام، وقد أجاب الله دعاء الشيخ، فوهب له أبا الأقطاب علي بن عبد الله أبا الحسن الشاذلي فورثه علماً وحالاً وهداية ورشداً كما أن يحيى ورث زكريا نبوة ومعارفا، [وَانْصُرْنِي] على عوالم الإمكان لأطلق من قيد أو أن أكون للغير مطلقا[4]، وفي مراتب السير محققاً، ويكون ذلك النصر [بِكَ] أي بحولك وسطوتك حتى لا يغالبني أحد إلا غُلِب، ولا يعارضني

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، (131/1).

(2) وبعد هذا النداء بهذه الأسماء الحسنى: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، حدد الشيخ مطلوبَهُ بالنِّداء فذكر خمسة أشياء، الوراثة، والنصرة، والتأييد، ومقام الجمع (تحلية)، والفرق (تخلية)، وأعقبها بلفظ الجلالة.

(3) (اسْمَعْ نِدَائِي) مَعَ ظُهُورِ فَقْرِي إِلَيْكَ وَالْتِجَائِي والدعاء مع كمال الفقر والالتجاء سببا للقبول، ولذلك قال مَعَ ظُهُورِ فَقْرِي إِلَيْكَ وَالْتِجَائِي. وطلب السماع هنا للشيء المراد وإلا فالحق سميع لكل شيء، ولكن سيدي ابن مشيش لا يريد أن يجعل كلامه بالكلام المسموع سمعا عاديا، بل بالسماع الذي له خصوصية في سماع قول سيدنا زكريا عليه السلام، من سُرعة الإجابة، على وجهِ خرقِ العادَةِ. وقال بعض العارفين: أي أقسم عليك يا الله بالاسم الذي سمعت به نداء عبدك زكريا عليه السلام وهو (المجيب الرحيم).

(4) ثم توجه بالطلب الثاني، وهو النصرة باسمك المعين النصير واجعل نصرتي بك أي بقدرتك أنت المباشرة لا بالأسباب حتى لا يكون بتوسط الأسباب، لأكون عبداً خالصاً، لأن السبب وإن كان مطلوبا إلا أنه نوع من الحجب. ولا أريد بذلك تعاليا بكرامتك على الخلق - حاشا لله - بك لك حتى أفتح للناس باب مشاهدتك، وأفتح لغيري طريق الوصول إليك، وأبواب قدسياتك، فإن ما عندي ليس دليلا ولا حجة على الغير، فأنت الذي خلقت الدليل، ومأربي فقط انتصار طريق الحق. وانصرني بك لك أي أجلك يا الله حتى أكون خالصا لك، نصرةً تكون خالية من الشهوة والعجب ورؤية الناس.

معارض إلا سُلِب وعُطِب.]لَكَ[أي لذاتك لا لشيء سواك أو لأجل أن أقوم بحق عبوديتك وأشيد ملتك الحنيفية وشريعتك المصطفوية. يقال نصرته نصراً أعنته وقويته.

[وَأَيِّدْنِي بِكَ](1) أي قوني بسر من عندك وقوة إيمان وصبر على البلاء بحيث تصير البلايا عطايا، فأكون شاكرًا على السراء حامدًا على الضراء.

[لَكَ] أي لمرضاتك أو قوني كما قويت المصطفين من عبادك حتى انسلخوا عن المقتضيات البشرية وارتقوا عن حضيضها إلى أوج البدليات الروحية بعنايتك وهدايتك لأجل أن أدل التائهين عليك وأوصل المنقطعين إليك.

[وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ]: أي أزل عني الحجاب حتى لا أشهد إلا إياك جمعاً خاصاً صحبته الخلص من عبادك الذين رفعت لهم الرتب، ومحوت من نظرهم النسب والسبب، والجمع الضم عن تفرقة، ويقال اجمع أمرك أي لا تدعه منتشراً متفرقاً. قال الشاعر:

تُهِلُّ وتَسْعى بالمصابيح وَسْطَها ∴ لها أَمْرُ حَزْمٍ لا يُفَرَّقُ مُجْمِـعُ

وقال الآخر:

يا لَيت شِعْرِي والمُنى لا تَنْفَعُ ∴ هَلْ أَغْدُونْ يوْما وأَمْرِي مُجْمعُ(2)

---

(1) ثم انتقل إلى الطلب الثالث، وهو التأييد أيْ قَوِّنِي باليقين في الباطن باسمك القوي المتين عند نزول المرادات القهرية وحصول الروح والرضا حتى تصير البلية عطية، وذلك من أجل نشر الدعوة ورفع الشبهات من قلوب الأتباع، فالتأييد أن ترى الله في كل شيء فتجد نفسك غير ضاجر بل ترضى بما أنت فيه وقال سيدي الشاذلي في حزب البر: (اللهم إني لا أسألك الدفع لما تريد ولكن أسألك التأييد فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك) فإذا أيدك في الفقر جعلك قانعا وإذا أيدك في الغنى جعلك منفقا، وهكذا، فتكون معه في كل شيء، ولا تكره أي شيء وهو خير لك فأنت لا تعلم والله يعلم، فالله يعطيك ما هو خير لك فمن علامات الإيمان الرضا بالقضاء والقدر.

(2) لسان العرب (57/8).

[وَحُل]: احجز وامنع **[بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ]** فلا أرى شيئاً من الأغيار، لاحتجابي عنها بسواطع طوالع لوامع الأنوار(1) بل كن حجابي، في حال دُنوّي واقترابي فلا أرى سواك، ولا أشهد إلا إياك، وأقول عند محو الآثار بالآثار والأغيار بالأنوار، والأنوار بأنوار الأنوار ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 16]، فأسمع الجواب من سرادقات الاقتراب ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، فأتحقق أن الوجود لله، وأن لا مقصود إلا الله، ويظهر لي سر ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، فأقول عند ذلك: **[الله الله الله]** بالوقف على الهاء، وحكمة التكرار ثلاثاً رعاية لجانب الوترية، ولأن **النفوس ثلاثة** أمارة ولوامة وزكية، **فالأمارة**: نفس كل إنسان إلا ما رحم الرحمن، **واللوامة**: نفس أهل الرجوع إلى الإحسان، **والثالثة**: الزكية المطمئنة الراضية المرضية. فإذا قال السالك الصادق (الله) خرج من الأمارة وربما بلغ الأمارة، وإذا قال ثانياً خرج من اللوامة وأشرقت عليه بوارق الكرامة، فإذا قال ثالثاً وصل إلى المطمئنة وفي ميدان الصدق أطلق الأعنه، فصارت نار الحبيب له جَنّة وحبه من كل سوء جُنَّة.

نار من قد هويتهم لي جنه ∴ مذ هموا خيموا سوار الأجنه
ياعذولى صه مه وعن قلبي اكفف ∴ لا تلمه ما ذقت طعم الأسنه
وترفق بكل صب محب ∴ يا خليا من الهوى واعذرنه
وإذا السكر دب فينا فسامح ∴ مهجا قد شطحن في سكرهنه
كل حسن في الكون يهدو العين ∴ فهو بَاد لا شك من حسنهنه

(1) من مصطلحات التصوف، وهي من الحوال: قَالَ الأستاذ هذه الألفاظ متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق وَهِيَ من صفات أَصْحَاب البدايات الصاعدين فِي الترقي بالقلب فلم يدم لَهُمْ بَعْد ضياء شموس المعارف. كَمَا قَالَ القال: يا أيها البرق الَّذِي يلمع من أي أكناف السما تسطع فتكون أولا لوائح ثُمَّ لوامع ثُمَّ طوالع فاللوائح كالبروق مَا ظهرت حَتَّى استترت، واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة، الطوالع أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا (راجع الرسالة القشيرية).

يَا رَعَى الله جيرة بفؤادي ∴ نزلوا فاستنار منزلهنه
فرأى ما رأى وشاهد غيب ال ∴ غيب عينا بعين أعينهنه
وبدا للفؤاد سر خفي ∴ ما استسقى ذا الشراب من يدهنه

وقيل حكمة التكرير: أنَّ دَرج المنبر النبوي المنير كان ثلاثاً وكان ﷺ كلما صعد درجة قال: الله، فاقتدى به، ومن ذلك أنه ﷺ كان يلقن أصحابه الذكر ثلاث مرات، وهذا معنى ما قاله البكري في الروضات العرشية: إن المؤلف لما سمع قول الحق قل: الله، قال: الله، ثم نادته حقائق واذكروا الله فقال: الله، ثم هتفت به هواتف واعتصموا بحبل الله، فقال: الله، فالمبتدئ يلاحظ لا معبود إلا الله، والمتوسط يلاحظ لا مقصود إلا الله، والمنتهي يلاحظ لا مشهود إلا الله؛ أي: وأسماء الله تعالى ثلاث مراتب: أسماء تدل على الذات ولا تدل على أمر آخر، وأسماء تدل على صفات تنزيه، وأسماء تدل على صفات أفعال وما ثم مرتبة رابعة. فإذا قال السالك " الله " شاهد أفعال الحق في الخلق، فإذا قال ثانياً: شاهد الصفات الكمالية بمعنى أنه يشهد أن الله متصف بكل كمال، فإذا قال ثالثاً ارتقى لمشاهدة الذات، فيشهدها بدون الصفات وهي مرتبة أهل الفنا أو مع الصفات والأفعال وهي مرتبة أهل البقا، ولقد أشار إليه بعض أهل الارتقاء:

سفرت عن الوجهِ الجميلِ فاسفَرا ∴ وبدَا هِــلال الحُسن منها مُقمرا
وبدت فكاشفت القــلوبَ بِسرّها ∴ وسقت شَرابَ الوصلِ مِنها كوثرا
ورأيتُهَــا في كلِّ شيء أبصرت ∴ عيناي حتى عُدت كلي مبصــرا

ومن الحكم ما ذكره العارف البكري قدس الله روحه وأرواحنا بنفسه العطري: أن المصنف أراد بتكرير هذا الذكر تلقين أهل مِصْرِه، بل أهل عَصْرِه ليرقيهم إلى مرتبة الذكر،

فقد قال ابن باخلا الشاذلي: لو أن عارفاً في مشرق الأرض ينطق بحقيقة ورجل محب في مغربها لكان له نصيب من ذلك حسب قسمته، وما سكت عارف قط ولو نفساً إلا عقوبة لأهل زمانه، ولا تكلم كلمة إلا انتفع بها كل أهل الأرض التي هو عليها.

وقد يكون المؤلف رضي الله عنه وقوى حرمه لقن أهل عالم الملكوت بعد تلقينه لأهل عالم الملك ثم ارتقى إلى عالم الجبروت، فلقن أهله بطريق النيابة والخلافة عن صاحب المقام الأكمل، الذي لا يستطيع أحد خلافه، وقد يكون عرض عليه الملك فأعرض عنه شغلاً بخالقه وقال "الله" ثم الملكوت فقال "الله" ثم الجبروت فقال "الله". قال أبو الحسن الشّشتري:

فلا تلْتفِتْ في السَّير غيراً وكلُّ ما ∴ سِوى الله غيرُ فاتخِذْ ذِكْرَه حِصْنا

وكلُّ مَقــامِ لاتقُـمْ فيهِ إنَّــه ∴ حجابٌ فجِدَّ السَّير واستَنْجِدْ العوْنا

ومهْما ترى كلُّ المراتِبِ تجْتلي ∴ عليْكَ فحلْ عنها فعَين مِثْلها حُلْنا

وقـال:

وقُلْ ليْس لي في غَير ذاتِكَ مَطْلُ ∴ فلا صورةُ تُجْلى ولا طُرفة تُجْنا[1]

وهذا الاسم الأعظم الأنفس، الدال على الذات الأكرم الأقدس جامع لجميع الأسماء الإلهية بصريح الجمعية، وهو سلطان الأسماء على العموم، كالقمر بين النجوم، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم وثمرتُه النور، ثم النور ليس مقصودا لذاته، وإنما يقع به

(1) والبيت أيضا من قصيدة الششتري، وجاء في الأصل (وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب)، والمعنى واضح، وفي بعض نسخ القصائد: (وقُلْ ليْس لي في غَير ذاتِكَ مَطْلُ)، أي لا طول انتظار لي.

الكشف والعيان، كذا قاله الشاذلي عليه الرحمة والرضوان(1).

[إنَّ الَّذِي فَرَضَ](2): أي قدر حين أنزل **[عَلَيْكَ]** أيها الجامع **[الْقُرْآنَ]** الجامع لما لا يتناهى بمقدار خاص ليدل على جمعيتك مع اختصاصك بمقدارك، **[لَرَادُّكَ]**: أي باعثك **[إِلَى مَعَادٍ]** أي مكان يعود فيه ما أُجْمِل فيك وفي كتابك إلى التفصيل أو الذي أوجب عليك تلاوة القرآن وتبليغه والعمل بما فيه لرادك إلى معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه. والحكمة في ذكر الآية أنها قيلت لجده ﷺ حين اشتاق إلى مكة فكأنه قال صدقتَ وعدك حبيبك فاصدق وعدي بأن تلحقني به في ذلك الوعد الذي لا يتخلف. ووجه المناسبة بين الآية والذكر أن البداية لما كانت منه تعالى كانت النهاية في الرجوع إليه كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42]، فالذي أنزل القرآن وأوجب السير في

---

(1) والحقيق أنه من أقوال سيدي أبي العباس المرسي (راجع لطائف المنن، وكذلك تراجم رجال الطريقة الصديقية الشاذلية).

(2) ولذلك فلمّا كان الجمع الحقيقي، الذي تصحبُهُ النُّصْرَة والسُّرور، ولا تعتَريه غفلةٌ ولا فتورٌ، إنما تكونُ بعد البَعْثِ والنُّشُورِ، تلاَ على رُوحهِ هذه الآية، على مذهب تفسير أهل الإشارة، تسلية لها، وبما لا يمنع تفسير أهل الظاهر أنها وعد بالعودة إلى مكة فاتحا حيث نزلت الآية عند الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقال: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ) أحكام (الْقُرْآنَ) وكلَّفك وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الْبَيَانَ لأحكامه وتبليغ الرسالة (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)، وكيفية العمل به، وجعل مهمتك أن تقتطع من أنسك مع الله إلى الخلق لتبليغ الرسالة فأعْطَيْتَ نصيبا من أُنْسِك بالحق إلى الناس (لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) عظيمٍ مع الحق تعالى ثانيا، وألهمناك أن تقول: (الرفيق الأعلى) عند تمام مهمتك مع الخلق، فتتَّصِل بمحبوبكَ على الدَّوام، في مكانتك الأصلية، ومكانك الأول الذي كنت فيه قبل التكليف بالرسالة، حيث كنت أول صادر عن الله، وأول آية لله، فتعود للأنس بالحق، ويظهر ذلك للكافة أيضا يَوْمَ تَحِقُ لَكَ السِّيَادَةُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ يَوْمَ تَحِقُّ لَكَ السِّيَادَةُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ وهو يوم الشفاعة العظمى، وهو المقام المحمود الذي تحقق به السيادة المطلقة، فموعده في عالم الملك هو فتح مكة، وموعده في عالم الملكوت هو المقام المحمود.

ميادينه ومعالمه، هو الذي الأمر كله إليه، فالنهايات رجوع إلى البدايات. وهذا الذكر ذكر خاصة الخاصة، ولذلك كان شعار الغوث الأعظم، والرجوع إليه بعد الذهاب فيه كذلك، فلذا ناسب ذكر الآية عقب الذكر، ولما عرض في ذكر الآية بطلب الرد إلى الصحو في الصحو الأكمل من المحو في المحو، قال [رَبَّنَا] أي يا من ربانا بنعمه وإحسانه، وغمرنا بآلائه وامتنانه. وخصص الرب بالنداء استعطافاً، [آتِنَا] بفضلك في رجوعنا [مِنْ لَدُنْكَ] أي من عندك وفيض فضلك [رَحْمَةً] تغننا بها عن رحمة من سواك ليكون رجوعنا على الذهاب كما أعطيت أهل الكهف رحمة أغنيتهم عن الطعام والشراب(1).

[وَهَيِّئْ]: أصلح ويسر [لَنَا مِنْ أَمْرِنَا] اختيارنا [رَشَدًا] لطريق الصواب إنك أنت الهادي القادر الوهاب فإن غيرك لا يقدر على ذلك أبداً، بل أنت الفياض على عبادك سرمدا.

[إِنَّ اللَّهَ] يصلي صلاة الجود الذاتي [وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ] صلاة الكرم الصفاتي [عَلَى النَّبِيِّ] محمد ﷺ مأخوذ من النبأ بالهمز وهو الخبر، لأنه مُخبَر من الله، أو مُخبِر عن الله، أو من النبوة وهي العلو والرفعة، وبهما قرئ في السبعة. [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اتصفوا بالإيمان إن أردتم رضاء الرحمن، [صَلُّوا عَلَيْهِ]: أي ادعوا له واسألوا الله أن يصلي عليه. ولما كان المؤمنون ينازعون بنفوسهم أمرَ ربهم أمرَهم بعد ذلك بقوله: [وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] بتأكيد الفعل بالمصدر، حتى تبقى صلاتهم مثل صلاة الملائكة لا بدعوى نفوسهم.

(1) ذكر دعاء أهل الكهف، تشبيهًا بهم في التَّبتُّل والانقطاع إلى الله، والفرار مما سواهُ، فتضرع. وقالوا: الحكمة من إيثار هذا الدعاء القرآني لأصحاب الكهف على غيره ليناسب ما تقدم، فان من أوى إلى كهف الفردانية، ولجأ إلى معاد حرم الصمدانية، يصير متناسياً كل القواطع والأغيار، فيسأل من فضل ربه العلي الكبير الذي شاهده ما يريد، ويستمد منه المساعدة والتيسير.

قال بعض الحنفية: والحكمة في أن الله أمرنا أن نصلي ونسلم على النبي مع كوننا نطلب صلاته عليه لأنه عليه الصلاة والسلام طيب طاهر ونحن العيب والنقص فينا ظاهر، فكيف يثنى ذو العيب والنقص على الطاهر! فسألنا الله أن يصلي عليه، لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر.

وبسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا المختصر، قال القشيري[1]: أراد الله سبحانه أن تكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافيهم عليها من الشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه، ثم كافأ سبحانه عنْه كما ورد على لسانه ﷺ بقوله: «من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات»[2].

قلت الفضل لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً وإنما ختم رضي الله عنه بهذه الآية دليلاً لصلاته، فكأنه يقول إنما وضعت هذه الصيغة لأن الله وملائكته يصلون على النبي والمؤمنون جميعاً مأمورون بذلك فاقتديت وامتثلت لأحوز الشرف وأفوز بالتحف، قال البوصيري[3]:

وتَزَوَّدِ التَّقْوَى فإن لم تستطعْ ∴ فِمنَ الصلاة على النبيّ تَزَوَّدِ

صلّى عليه اللّهُ إن صلاةَ مَنْ ∴ صلّى عليه ذَخيرةٌ لم تَنْفَدِ

قلت وزاد بعض المنتسبين هنا "صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته ورحماته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. **[سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]**.

---

(1) في لطائف الإشارات عند تفسير الآية 56 من سورة الأحزاب.

(2) أخرجه مسلم (70) 408 بلفظ : (مَن صَلّى عَلَيّ واحِدَةً صَلّى اللّهُ عليه عَشْرًا).

(3) من قصيدة البوصيري (كَتَبَ المَشِيبُ بأبْيَضٍ في أسْوَدِ).

وهذا آخر ما جرى به القلم، من خزائن الجود والكرم، رحم الله من شكر وستر من وجد عيباً فستر، ونسأله تعالى أن يوفقنا وأحبتنا الطريق الصواب، وأن يديم صلاته وسلامه على سيد الأحباب سيدنا محمد ومولانا النور المبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم إلى يوم يبعثون، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه نقل هذا الشرح بخط الفقير الحقير الراجي عفو ربه المنان طارق صابر سرحان خادم تراب أقدام السادة الشاذلية.

وذلك بإذن من سيدي وإمامي إمام أهل العرفان فضيلة الشيخ محمد سعد بدران

وذلك ليلة الثلاثاء 23 من رجب 1412ه/ 28 من يناير 1992م

وقد نقلت هذه النسخة من نسخة مخطوطة بخط سيدي وإمامي فضيلة الشيخ محمد سعد بدران والذي نقلها يوم الثلاثاء 2 صفر 1356ه الموافق 13 ابريل 1937م.

الجزء الثانى
شرح صلاة أبى الأقطاب سيدى أبى الحسن الشاذلى
لحقيقة الطريق الشاذلى سيدى أبى المحاسن القاوقجى قُدس سرهما
لشيخنا العالم العلامة الشيخ محمد القاوقجى

الصيغة محل الشرح والاعتناء

}اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النُّورِ الذَّاتِيِّ وَالسِّرِّ السَّارِي فِي سَائِرِ الأَسْمَاء وَالصِفَاتِ{

قال الإمام القاوقجي قدس الله روحه في شرحه على هذه الصيغة المباركة[1]:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لِمَنْ أَطَلَعَ بِدَوْر الْكَمَالِ الإلهي من بُرُوجِ الجمال الزَّاهِي[2]، فاستضاء به أهلُ العناية الخصوصية[3]، والصلاة والسلام على سماء سَاذِجِ الذَّاتِ الإحَاطِيَّةِ الْوُجُودِ[4]،

(1) الاعتناء بالنص كما ورد هو من الأمانة التي ينبغي للباحث ألا يتعرض لها بالتعديل أو التغيير حتى وإن كانت الصيغة مختفلة عن روايات أخرى تعود عليها القارئ الكريم.
(2) الزاهي الصافي العظيم الْمُشْرِق المنزه عن الحس.
(3) يظهر سر العناية على المحسنين المتقين لأعمالهم المخلصين في عبودية ربهم. وبالجملة من رأيته صادق العزم في البداية فاعلم أنه من أهل العناية (إيقاظ الهمم شرح الحكم العطائية لابن عجيبة).
(4) وهذه من المصطلحات الدقيقة للسادة الصوفية، وهي صعبة الفهم بدون مربي يوضح خباياها وخفاياها، ولقد استعملها الإمام الجيلي قدس الله روحه في كتابه عن مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، حيث بَيَّن دوائر الوجود ومنها: أولاها الذات الساذج، وهي: الذات الإلهية المعبر عنها بالغيب المطلق وبغيب الغيب؛ لصرافة الذات المقدسة عن النسب والإضافات، ولهذا عبر عنها القوم بالذات الإلهية الساذج؛ لأن منتهى معرفة العوالم بالله تعالى الأسماء والصفات القائمة بالذات.

وَنُقْطَةِ دَائِرَةِ الْكَمَالِ الإِلَهِيِّ فِي الْغَيْبِ وَالشُّهُودِ[1]، سيدنا ومولانا محمد مَظْهَرِ الْعَظَمَةِ الذَّاتِيَّةِ[2]، وَجَمْعِيَّةِ عُيُونِ الْحَقَائِقِ الرَّحَمُوتِيَّةِ[3]، وعلى آله وأصحابه وأنصاره المقتبسين من

---

(1) (سَاذِجِ الذَّاتِ الإِحَاطِيَّةِ الْوُجُودِ، وَنُقْطَةِ دَائِرَةِ الْكَمَالِ الإِلَهِيِّ فِي الْغَيْبِ وَالشُّهُودِ) جزء من صلاة سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والسذاجة الصرافة، ولأن معنى السذاجة الصرافة، تقول هذا الشيء ساذج أي خالص صرف لا شيء يمازجه. يعني أنه ﷺ من كل وجه أحدي الذات مع اختلاف أحكام الأسماء والصفات، فهو عين الذات العينية وخالص حقيقة الأحدية، فهو الأحد في غيبه الذي هو عين الشهود، وفي شهوده الذي هو عين الغيب فإنسانيته المقيدة بالبشرية إجمال تفصيل الكمالات الوجوبية وهوية الأعيان الكلية والجزئية. لمزيد من التفاصيل (النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية - محمد بهاء الدين البيطار ت1314هـ، ص67). والمعنى أيضا (فما ثم إلا نقطة نورية تعينت في الحقيقة الإنسانية اختلفت عليها الأسماء مع أحدية المسمى). والإحاطية الوجود أي التي وجودها إحاطي شامل لجميع الحقائق ظهورا وبطونا، ولهذا أطلق على هذه الحقيقة لفظة نقطة دائرة الكمال الإلهي في الغيب والشهود، ونقطة الدائرة تشير إلى تساوي أقدام الماهيات في ذات الوجود، فالكمال الإلهي عبارة عن مراتب الوجود حال بطونها وآن ظهورها (الجوهر النفيس على صلوات ابن إدريس - شرح الشيخ خليل الهجرسي ت1328هـ على صلوات القطب أحمد بن إدريس ت 1253هـ).

(2) مَظْهَرِ الْعَظَمَةِ الذَّاتِيَّةِ) جزء من صلاة سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والمظهر محل الظهور للمعنى الثبوتي والحقيقة الحكمية، و(جَمْعِيَّةِ عُيُونِ الْحَقَائِقِ الرَّحَمُوتِيَّةِ) فهو ﷺ مظهر الرحمة الذاتية الجامعة لعيون الحقائق الرحموتية، فهو بهذه الرحمة مظهر الاسم الرحمن الذي استوى على العرش فكان العرش هيكل محمد ﷺ فذاته عين الرحمة (النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية - محمد بهاء الدين البيطار ت1314هـ، ص61)، وقالوا: اللهم صل على عرش استواء رحمانيتك.

(3) الرحموت مبالغة في الرحمة، فهو ﷺ رحمة الله للعالمين. واعلم أن شهود عالم الملكوت يحجب عن شهود عالَم المُلك، وشهود عالم الجبروت يحجب عن شهود عالم الملكوت. وكل من ترقّ إلى مقام، غاب عمّا قبله، إلا الرّحموت، فيمكن شهودُه من العوالم كلّها. ويقول مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة: هناك عالم الرحموت، وعالم الجبروت، وعالم اللاهوت، فالله - سبحانه وتعالى - فيه صفات للجمال هي عالم الرحموت، وفيه صفات للجلال هي عالم الجبروت، وفيه صفات للكمال وهي عالم اللاهوت، مع العالَمَين الملك والملكوت (وهما عالمان، ولكن يمكن إدراجهما تحت كلمة الخلق) يصبح خمسة: ثلاثة مردها إلى الله الواحد الأحد، واثنان مردهما إلى الخلق.

أشعة أنواره ما لمع برق التقريب، وهام المحب بذكر الحبيب، أما بعد:

فيقول راجي ألطاف مولاه الخفية، محمد المنسوب للعصابة المشيشية الحسنية، المشهور بالقاوقجي بين البرية، أتحفه الله وأحبابَه بإشراق أنواره القدسية وكفاهم كل سوء وبلية:

لما كانت الصلاةُ الشَّاذِلِيَّةُ تَعْدِلُ مِائة ألف صلاة مِنْ غيرها عَلَى السَّوِيَّةِ، ولا مانع من ذلك عند الْعَارِفِين، فقد ثبت التضعيف في تلاوة آيات وسور من الكتاب المبين[1]، وتمنح صاحبَها الفيوضات المحمدية، وفيها كشف الكروب لِمَنْ تَلاهَا خمسمائة بُكْرَة وَعَشِيَّة[2]، وَضَعْتُ عَلَيْهَا شرحًا لطيفا أُبَيِّنُ فيه بعض معاني غوامض ألفاظها الشهية، لِيَاذًا بِمَنْ مَنَحَهُ اللهُ مِن لَدُنْه الْحُرْمَةَ، وَجَهْد مُقِلّ في التَّثَبُّتِ بِمَا يوصل للخدمة، وإلا فأنَّى لِي أنْ أَحُومَ حَوْلَ حِمَى هذه الْمَرَاتِب الْعَلِيَّة، وأروم الترقي إلى سماء هذه المراقي السنية، ولكن شأن المحبة الزَّائِدَة يَدْعُو لِمِثْلِ تِلْك الْمَائِدَةِ، وَأَسْأَل اللهَ الكريم الوهاب أنْ يَنْظِمَنا فِي سِلْكِ الأَحْبَابِ وَيَرْزُقنا الإخلاصَ والقبول والعون بحصول الْمَأْمُول وينفع بهذا الشرح عِبَادَه، ويديم به الإفادة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

اعْلَم أولا أنَّ أبَا الْحَسَن الشَّاذِلِي أَجَلّ مِن أن يُذْكَر، وَفَضْلُه أَعْظَمُ مِنْ أن يُشْهَر:

كَيْفَ السَّبِيلُ لِمَدْحِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ∴ وَصَفُوا عُلاهُ بِأَنَّهُ لا يُمْدَحُ

---

(1) ومن ذلك حديث البخاري ومسلم في أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ورواية البخاري (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)..

(2) حيث قال سيدي العارف بالله أحمد الصاوي هذه صلاة النور الذاتي لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا به وهي بمثابة ألف صلاة وعدتها خمسمائة لتفريج الكرب.

ولقد أجاد سيدي علي وفا(1)، قَدَّس الله سره وعنّا به عفا، حيث قال بهذا الهمام يصف بعض معانية العظام:

يَا سَيِّدُ يَا عَلِيُّ عَلَيْتَ يَا أَمَلِي ∴ عَنْ أَنْ يَنَالَ حَسُودٌ بَعْضَ مَا نِلْتَا
أَنْتَ الَّذِي إِنْ تَقُلْ مَنْ هُوَ إِمَامُ هُدَى ∴ أَهْلُ النُّهَى الْيَوْمَ قَالُوا كُلُّهُم أَنْتَا
يَا مَنْ أَقَامَ بِنُورِ اللهِ مَنْهَجَهُ ∴ فَلا تَرَى عِوَجًا فِيهِ وَلا أَمْتا(٢)
وَلا شَك أَنَّكَ مِشْكَاةُ الَّذِي أَبَدًا ∴ لَهُ سِرَاجٌ مُنِيرٌ فِي الْعُلا نَعْتا
وَأَنْتَ فِي الْكَوْنِ ظِلُّ اللهِ أَظْهَرَهُ ∴ شَمْسٌ سَمَا وَاسْمُهَا فِي الْمُسْتَوى سَمْتا(٣)
وَافَيْتَنَا بِوُجُودِ الْجُودِ مُبْتَدِيا ∴ بِغَايَةِ الْفَضْلِ سَكَتْ لا تُرَى سَكْتَا
بِالْوَارِثِ الْحَامِدِ الْمَحْمُودِ مُنْفَرِدًا ∴ بِمُسْتَقَرِّ مَقَامِ الْحَمْدِ قَدْ قُمْتَا
وَاللهِ إِنَّ كُنُوزَ الأَرْضِ طَوْعُ يَدِيْ ∴ مَنْ قَدْ أَحَبَّكَ حَقًّا أَيْنَمَا كُنْتَا
اللهُ يَرْضَى إِذَا تَرْضَى وَيَغْضَبُ إِنْ ∴ تَغْضَبُ وَعَنْه بَدَا مَا عَنْكَ أَظْهَرْتَا
إِنَّا لَنَشْهَدُ فِعْلَ اللهِ عَنْكَ إِنْ ∴ تَفْعَلَ وَنَسْمَعُ قَوْلَ اللهِ إِنْ قُلْتَا

وَكَانَ رضي الله عنه يقول: (وَاللهِ مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ إِلا بِإِذْنٍ مِن اللهِ وَرَسُولِهِ)(4)، أو مَا مَعْنَاه.

---

(1) سيدي علي وفا، هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفا. يقول الإمام الشعراني: (كان سيدي علي يقول: مولدي سحر ليلة الأحد حادي عشر محرم سنة 761هـ. كما رأيته بخطه) أ.هـ. وكان الشيخ علي وفا كثير الإقامة بمنزله بالروضة، وتوفي 807هـ، وكانت جنازته تضم خلقاً كثيراً لم تر القاهرة مثلها، قال المقريزي: لم أر قط على جنازة من الغفر أي الحراسة ما رأيت على جنازته رضي الله عنه وأرضاه، وحشرنا في زمرة عباده الصالحين.

(2) (أمتا) الأمت: العيب والعوج والضعف والوهن.

(3) (سمتا) السمت: :السكينةُ والوقارُ والهيئة والطّريقُ الواضحُ.

(4) وقيل إن القطب الشاذلي قالها عن حزب البر: (ما رتبتُ منه كلمة إلا بإذن من ربي وأمرٍ من رسول الله).

وُلِدَ سَنَةَ 593هـ ثلاثة وتسعين وخمسمائة[1]، وَتُوفِي سَنة 656هـ ستمائة وستة وخمسين فِي صَحَرَاء عَيْذَاب عَنْ الْقُصِير سَبْع مَرَاحِل، وَدُفِنَ هُنَاك، وَقَبْرُه عَلَيْهِ جَمَالٌ بَارِعٌ[2].

قال رضي الله عنه:

[اللَّهُمَّ] فيه للنَّحْوِيّين مذهبان: فقال الفراء والكوفيون: أصله (يَا اللّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ)[3]، فكثر استعمالها فحُذِفَت الهمزة تخفيفا، وتحركت الميم المفتوحة، وقال الخليل وسيبويه والبصريون: أصله يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء عُوِّض عنه هذه الميم المشددة، والضمة في الهاء هي ضمة الاسم المفرد المنادى. وخُصَّ هذا الاسم في أوائل الصلوات والأدعية غالباً لجمعه معاني جميع الأسماء ولهذا قال بعضهم من قال اللهم، فقد دعاه بجميع أسمائه. [4]

[صَلِّ] قال القرطبي: لابد من الدعاء له ﷺ بما وَرَدَ، فإن الله يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة كما زاده بصلاتهم عليه، ثم إنه يرجع ذلك إليهم بتضعيف الأجور ووجوب شفاعته[5]. ومعنى الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله تعالى على رسوله وعبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر، يقال: صَلَّى صَلاةً لا تصليةً دعاء كذا في القاموس. [6]

---

(1) ذكر سيدي القاوجي أن مولد سيدي أبي الحسن الشاذلي عام (571هـ)، إلا أن الصواب هو ما حققه مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة أن مولد سيدي أبي الحسن الشاذلي عام (593هـ)، وهو ما أثبتناه. قال مولانا الإمام العلامة: (إن سِنَّه سِن وَفَاة سيدنا النبي)، أي 63 سنة، فلما كانت وفاته مجمع عليه أنه 656هـ، فيكون المولد سنة 593هـ.

(2) في قرية تسمى حميثرة.

(3) (أُمَّنَا)، وفي الأصل (أم)، والصواب ما أثبتناه.

(4) الأصول في النحو، (338/1).

(5) ورد (أجورهم)، وكذلك (الأجور).

(6) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، (100/4).

والصلاة عليه ﷺ من الأعمال التي لا يدخلها الرياء ولا تُرَدّ، كما جزم به الشاطبي في شرح الألفية ، واستشكله السنوسي بأنه لو قُطِع بقبولها لَقُطِع للمصلّي عليه بحسن الخاتمة. قال: وأجاب الشاطبي بأن معنى القطع بقبولها بأنه إذا ختم له بالإيمان وجد حسنتها مقبولة لا ريب فيها، بخلاف سائر الحسنات، ويحتمل أن قبولها على القطع إذا صدرت من صاحبها عن وجه محبته له ﷺ فيُقْطَع له بالشفاعة بها في الآخرة ولو في تخفيف العذاب إن قُضِيَ عليه به ولو على وجه الخلود.

[وَسَلِّم] قال الْبُرْهَان اللَّقَّانِي: السّلامُ التَّحِيَّةُ، وجَعْلُه بمعنى السَّلامَة من الآفات والنقائص ضعيف لوجوب العصمة الدائمة له والحفظ من الناس وإضافته إليه تعالى ليُحَيِّيه بما هو اللائق بحسب ما عنده[1].

[وَبَارِكْ] الْبَرَكةُ كثرة الخير والكرامة والزيادة منهما.

[عَلَى سَيِّدِنَا]، قال الْجَزُولِي[2]: السَّيِّد الذي يُفْزَعُ إليه عند النَّوَائِبِ، وقِيل الحليم الذي لا يستفِزَّه الْغَضَبُ، وقيل المتقدِّم على قومه بما فيه من خصال الكمال والشرف، أو المالِك الذي تَجِب طَاعته، ولهذا يقالُ سَيِّد الْغُلام ولا يقال سيد الثَّوب، وقِيل السَّخِيّ، وكل هذه المعاني مُحَقَّقَةُ فيه ﷺ فهو سيد أهل الأرض والسماء لأنه رئيسهم وجليلهم بِجَمْعِه لسائر الكمالات.

[مُحَمَّدٍ] هو أشْهَرُ أسمائه ﷺ وألَذّهَا سماعاً وأكثرها إلى الصلاة والتسليم استدعاء،

---

(1) قوله ضعيف يصف به قول من قال أنه بمعنى السلامة.

(2) الجازولي صاحب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار)، مغربي مدفون في مراكش، مالكي المذهب، توفي 870هـ. الناس يقرؤون «دلائل الخيرات» على قبره، ورائحة المسك تخرجُ من قبره، حتى عطرت رائحة ذلك العطر المسجدَ بأسره. وله رضي الله عنه كلامٌ كثير في التصوف، وتغزلات رقيقة، وأحوال صادقة. وكان يقول رضي الله عنه: قال لي ربي: يا عبدي، إني فضَّلتُك على جميع خلقي؛ بكثرة صلاتك على نبيي.

وهو عَلَمٌ مَنْقُولٌ مِنْ اسم مَفْعُول الْمُضَعَّفِ، سُمِيَ به بِإِلهامٍ من الله تَفَاؤلا بِأنه يَكْثُر حَمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة، فهو اسمٌ مُطَابِقٌ لِذَاتِهِ.

[النُّورِ الذَّاتِيِّ] النُّور الظَّاهِرُ بنفسِه(1)، والْمُظْهِرُ لغيره، وأَصْلُ الذَّات من ذُو بمعنى صاحب ثم نقلت إلى الإطلاق على الشيء، فقال بعض المحققين الذات هي الشيء، والشيء هو الذات، والذات الحقيقة، والمراد بها هنا الذات العلية، والمعنى نور ذات الله أي الذي خلقه بلا مادة لأنه أَوّل التَّعَيُّنَاتِ الْمُفَاضَةِ مِنَ الْعَمَاء الرَّبَّانِي(2).

ولما كانت له ﷺ الأولية في الإيجاد حُكِمَت بسريان الحكم الإحاطي والتصور الروحاني في كل الوجود(3):

(1) (النور الذاتي)، وفي الأصل (النور الذات)، والصواب ما أثبتناه. والذاتي أي لا يستمد من غيره من المخلوقات.

(2) جزء من صلاة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي ابن عربي، وفيها (اللَّهُمَّ أَفِضْ صِلَةَ صَلَوَاتِكَ، وَسَلامَةَ تَسْلِيمَاتِكَ، عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ الْمُفَاضَةِ مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِي، وَآخِرِ التَّنَزُّلاَتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الإِنْسَانِي). والعماء في اللغة السحاب المرتفع أو الكثيف الممطر، ويدل على الستر والتغطية والإشارة إلى الغيب، وفي الاصطلاح الصوفي العماء: الحيرة، وأعظمه الحيرة في العلم بالله وهو عين الرحمة، وحقيقة الحقائق، فهو الحضرة الأحدية (أحدية ذاته سبحانه تحق الكائنات) ولا يعرفها أحد غيره سبحانه فهو في حجاب الجلال، وهذه تتعين بالتعين الأول لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية. وفي البخاري: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ». وعند الترمذي: عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ قَالَ «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ». قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْعَمَاءُ أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ. وهو حَدِيثٌ حَسَنٌ. ولفظ (ما) في حديث الترمذي حرف نفي وإلا فالجهة عن الله تعالى منفية. وقيل: كان ولم يكن معه شيء بل كل شيء كان عدما عمى لا موجودا ولا مدركا، والهواء: الفراغ أيضا العدم. فكان في ذاته وليس معه شيء سوى نور ذاته الذي لا يحيط به شيء من الأشياء كما يشعر به نفي إحاطة الهواء. والعماء الغيب.

(3) فكل شيء بحيثيته ومهمته ووظيفته في الأكوان، والمنشأ كله سيدنا رسول الله ﷺ، فهو السر الساري. فاللهم صل على سيدنا محمد النور الذاتي مرآة الحق للأكوان، والضابط أنه (للأكوان) وليس (في الأكوان)، ويقول مولانا الإمام العلامة (هو يحيط بالأكوان، ولا تحيط به).

فما كان مِن نُوره نورا يوجَد للاستواء[1]، سُمِّيَ عرشاً،

وما كان عَن نوره من نور وجد لإلقاء العلوم وتسطير المعلوم، سُمِّيَ قلماً،

وما كان للحفظ والوعي، سُمِّي لَوْحًا،

وما كان للفهم والقبول والاستعداد للمعرفة، سُمِّيَ عَقْلا[2]،

وما كان عن نور وُجِد للإنْبَاء والإرْسَالِ، كَانُوا أنبياء،

وما كان عن إشراق نورانية الأولية حين سجودها حالة ظهور وجودها، سُمُّوا ملائكة،

وعَنْ سَجْدَتِه بَيْنَ يَدَي الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ حِين إيجَاد حَقيقته النُّورَانِيَّةِ الأوَّلِيَّة، سَجَدَ كُلُّ سَاجِد[3]،

وَعَن اعْتِرَافِه بِالْحَمْدِ الْمُسَمَّى بِه مُحَمَّد، حَمَدَ كُلُّ حَامِدٍ[4]،

وَعَنْ عِبَادَتِهِ حِين انْفِرَادِه بِالْوُجُودِ، عَبَدَ كُلُّ عَابِدٍ،

فَانْظُر سَرَيَان دَقَائِق حَقِيقَتِهِ فِي حَقَائِقِ الْوُجُودِ وَظُهُورِ أثَرِ أوَّلِيَّته فِي أوَائِلِهِ.

---

(1) في الأصل (ما كان من نور نورا)، والصواب ما أثبتناه (ما كان من نوره نورا).

(2) ولذلك ذكر الشيخ الباجوري للعقل خمسة معانٍ (إطلاقات)، منها سيدنا رسول الله ﷺ فهو ﷺ العقلُ الأول.

(3) فهو إنسان عين الحضرة القدسية، والحضرة القدسية كما يقول مولانا الإمام العلامة: معنى تدخل فيه عالـما لا تستطيع أن تنسى فيه الله. وإمام الحضرة القدسية هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ ويسمونه (إنسان عين الحضرة القدسية)، ومن هنا جاءت صيغة الصلاة عليه ﷺ، وإنسان العين هو المسئول عن الرؤية، وهنا إذا لم ير المرءُ سيدَنا رسول الله ﷺ فهو أعمى، ولن يدري ماذا يفعل، لأن لا بد له من إمام له، ولن يعرف ماذا يفعل إلا إذا رأى النبي ﷺ، وتبعه، وقلده، فهو إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، سيد ولد آدم أجمعين، وهو دائما في الحضرة القدسية، فإذا غاب عنك حدث لك التيه والتشتت.

(4) في الأصل (المسمى به محمد أحمد كل حامد)، والصواب ما أثبتناه (المسمى به محمد حمد كل حامد).

فَعَنْ أَوَّلِيَّتِه قَالَ: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ)(1)، أي فيما خُلِقَ لَهُ(2)، وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ كَذَلِكَ(3)، فَهَذِهِ أَوَّلِيَّات عَنْ أَوَّلِيَّتِهِ ﷺ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِه الأَوَّلِيَّة الْمُسْتَحَقَّة لِهَذِه الإِحَاطِيَّة كان لكل من العوالم دَقِيقَةٌ مِنْ حَقِيقَتِه هِيَ السِّرّ الْقَائِمِ بِذلك الْعَالَم. فهو ﷺ دَائِرَةُ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَمَرْكَزُ الْفَلَكِ الْبَسِيطِ وَطَلسَمُ الفَلَكِ الأَطْلَسِ فِي بُطونِ كُنْتُ كَنْزاً مَخفِيّاً فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، وَطَاوُوسُ الْمُلْكِ الْمُقَدَّسِ فِي ظُهُورِ نَخَلَقْتُ الخَلْقَ وتعَرَّفتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي وبهم أُعْرَف(4).

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ مَعْنَى حديث جابر المشهور، وذكرتُه في شَرْحِي عَلَى صَلاةِ ابْنِ مَشِيشٍ، وحديث عمر أيضًا، وذكرته في شرحي على الصَّلاة الْمُطَلْسَمَةِ الدُّسُوقِيَّةِ. ولقد أَشَارَ لَه الْعَارِفُ الْفَارِضِي فِي التَّائِيَّةِ بِلِسَانِ التُّرْجُمَانِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَمَنْبَعُهَا بِالْفَيْضِ فِي كُلِّ عَالَمٍ ∴ لِفَاقَةِ نَفْسٍ بِالإِفَاقَةِ أَثْرَتِ

---

(1) أخرجه الترمذي، ح: 2155، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(2) والمقصود حيثية خَلْق القلم، أي لماذا خلقه الله تعالى، وما هي مهمته ووظيفته.

(3) أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْل، حديث عن أبي هريرة وقد تكلم فيه بعض العلماء (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح).

(4) يقول أهل الله (كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَردتُّ أَنْ أُعْرَف فبي عرفوني) أي فبمحمد عرفوني. (كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا) في عالم الغيب والتي بطن فيها من المعاني اللطيفة (باطن الأشياء فيها سر الله تعالى) في عالم البطون، (فَأَردتُّ أَنْ أُعْرَف) فشاءت حكمته تعالى إيجاد الأكوان وأن يظهر السر (فَبِمُحَمَّد عَرَفُونِي) الذي هو سر وجودنا أي بنور الإمداد من الروح المحمدية، فهي أصل كل موجود، وسر الوجود، فالحقيقة المحمدية برزت من الحضرة الأحدية، ودخول المرء الحضرة المحمدية ومخامرته لها تنشق له مجموعة من الأسرار، فيعلم الكثير من الأسرار، وأعظمها أنه سر الوجود الساري في الأكوان، فالحقيقة المحمدية هي المُودَعَةُ في نُورِ رُوحَانِيَّتِهِ كأول موجود مطلقا في عالم الوجود الواقع الحسي، الذي قال عن نفسه الشريفة في القرآن الكريم (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) لأن هذه الحقيقة المحمدية هي المَوْصُوفَةِ بـ «كُنْتُ نَبِيّاً وَآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ» وهو المعنى الذي تجلى الله تعالى على نبيه كأول الموجودات وتجلى عليه بالنبوة قبل خلق آدم، فكان ﷺ أول الخلق.

فَوَائِدُ إِلْهَامٍ زَوَائِدُ نِعْمَةٍ ∴ عوائِدُ إنعام موائِدُ نِعمة
فَمَنْ قَالَ أَوْ مَن طَالَ أَوْ صَالَ إِنَّمَا ∴ يَمُتّ بِإِمْدَادِي لَهُ بِرَقِيقَتِي
وَمَا سَارَ فَوْقَ الْمَاء أَوْ طَارَ فِي الْهَوَا ∴ أَوْ اقْتَحَمَ النِّيرَانَ إِلاَّ بِهِمَّتِي
وَعَنِّيَ مَنْ أَمْدَدْتُهُ بِرَقِيقَةٍ ∴ تَصَرَّفَ عَنْ مَجْمُوعِهِ فِي دَقِيقَتِي
وَفِي سَاعَةٍ أَوْ دُونَ ذَلِكَ مَنْ تَلا ∴ بِمَجْمُوعَةٍ جَمْعِي تَلا أَلْفَ خَتْمَةٍ
وَمِنِّيَ لَوْ قَامَتْ بِمَيْتٍ لَطِيفَةٌ ∴ لَرُدَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَأُعِيدَت

إلى آخر ما قال رضي الله وعنا به. هذا ويُحْتَمل أنْ يكُونَ المعنى أنَّ نُورَه ﷺ ذَاتِيّ أي ليْسَ مُكْتَسِبًا مِنْ غَيْرِهِ، بِخِلافِ غيره[1]، ولذلك قال العارفون: الأنبياء خُلِقُوا من النُّورِ، وَنَبِيُّنَا نَفْس النُّور. وقد وَرَدَ أنَّ ذَاتَه ﷺ كانت نُورا حتى أنه لا يَظْهَرُ له ظِلٌّ فِي الشَّمْسِ يعني لزيادة نُورِ ذَاتِه، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّها قالت: "بَيْنَمَا أَخِيطُ ثَوْبًا فِي السَّحَرِ فَوَقَعَتْ الإِبْرَةُ مِنِّي وَانْطَفَأَ الْمِصْبَاحُ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَالْتَقَطتُ الإِبْرَةَ

(1) فهو أول الخلق، من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار كما قال سيدي ابن مشيش. فهو سراج الكون ومَدَه، وهو الممد للوجود يستمد منه كل موجود، فهو مصباح الحق والسراج المنير يستنير من الحق وينير الخلق ولا ينقص منه شيئا، فهو السراج المنير قبل ظهور الجسم الشريف المولود من أم وأب. والنور في سيدنا رسول الله ﷺ كلي ذاتي وليس عرضيا، أي أنه جزء ماهيته ﷺ كما أن الناطق جزءُ ماهية الإنسان (الإنسان حيوان ناطق)، أي أنه ﷺ نُورٌ نَاطِقٌ، بمعنى أن نور حضرته ﷺ جزء ماهيتِه. والمناطقة يقسِّمون الكلي باعتبار خروجه عن الماهية وعدم خروجه عنها إلى قسمين:
(أ) عَرَضِيّ وهو ما خرج عن الماهية فإن صَدَقَ عليها دون غيرها كان عَرَضًا خاصًا (الخاصَّة) كالضاحك للإنسان، وإن صَدَّق عليها وعلى غيرها كان عرضا عاما، كالماشي للإنسان،
(ب) وذاتي وهو إما أن يكون جزء الماهية وإما أن يكون نفس الماهية، فجزء الماهية إن صدق عليها وعلى غيرها، فالجنس ومثاله الحيوان، وإن صدق عليها دون غيرها فالفصل ومثاله الناطق، وأما نفس الماهية فالنوع ومثاله مجموع الحيوان الناطق. ونور سيدنا النبي ﷺ من هذا القسم الثاني أي الكلي الذاتي.

مِن نُورِ وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَبْهَى وَجْهُكَ وَمَا أَبْهَى طَلْعَتُكَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةَ الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ لَمْ يَرَنِي يومَ الْقِيامَةِ، فَقُلْتُ: وَمَنْ ذَا الَّذِي لا يَرَاكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ؟ فَقَالَ: الْبَخِيل، فَقُلْتُ: وَمَا الْبَخِيلُ؟ فَقَالَ: الْبَخِيلُ الَّذِي ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ"[1].

وبالجملة فقد اتفقت كلمة أولياء الله تعالى على خصوصيته ﷺ على كل العوالم، وأنه نور النور الذي غابَ كُنْهُ مَعْنَاه عَن الْفُهُومِ. ولقد أجادَ البُوصِيرِيّ حيث قال:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ ∴ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ
وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ∴ وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ∴ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ∴ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وحكى العارف محي الدين الفريد عن القطب أبي يزيد أنَّه فُتِحَ لَه مَرَّة في مَقَامِ النبي ﷺ قَدْرُ خُرْمِ إِبْرَة تَجَلِّيًا لا دُخُولا فَاحْتَرَق.

وقال أيضاً: إنّ الْمَقَامَ الْمُحَمَّدِي الدُّخُول فيه مَمْنوع وغاية مَعْرِفَتِنا به النَّظَرُ إليه كما يَنْظُر مَنْ فِي الْجَنَّةِ مَنْ في عِلِّيِّينَ[2]، وكَنَظَرِنَا إلى الْكَواكِبِ في الْمَاء[3].
وقال البكري أبيضُ الوجهِ[4]:

قَبْضَةُ النُّورِ مِنْ قَدِيمٍ وَرِثْنَا ∴ فِي جَمِيعِ الشُّئونِ قَبْضًا وَبَسْطًا

---

(1) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (310/3)..
(2) ذكر هذا الكلام في ترجمان الأشواق.
(3) قال البوصيري في همزيته: إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتك لِلنَّا ... سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ.
(4) نسبها البعض إلى سيدي عبد الغني النابلسي، من قصيدة (أيها الطلعة التي أخذتنا)، وفيها (أَرَتْنَا) بدلا من (ورثنا). وقوله: أبيض الوجه: وصف للبكري من باب المدح.

وقال شارح الشفاء: معلوم أنه ﷺ خُلِقَ نورًا قبل كل شيء، ولولاه مَا خَلَقَ اللهُ شيئاً. وقرر الإمام القاشاني: أن النبي ﷺ مَطْلع جميع الأنوار الذاتية والصفاتية، لأنه الْبَرْزَخ الأول وبطلعته طلوع التَّجَلِّي الأول، فلذا كان منشأ جميع الأنوار الذاتية والصفاتية، وما يُوصَف بالظهور مطلقاً فأصله هذه الطلعة، وكذا جميع التنوعات النورانية على كثرة تنوعاتها من فروعها وصفاتها، وفروع أسمائها وأسماء أسمائها وهلم جرا.

[وَالسِّرِّ] هو ضِدُّ الْجَهْرِ وهو الأمر الْمَكْتُوم، والسِّرّ الْمُصَان، سَاكِن فِي الْجِنَانِ، ولم يَطَّلِـع عليه أحدٌ من جِنْسِكَ يا إنسان.

لا يدركُ السِّرُّ إلا من خَرَقَ الأَطْمَارَ وخَلَعَ فِي حُبِّهِ الْعِذَارِ[1]، وأنشد بعضهم في ذلك فقال:

لا يُدْرِكُ السِّرَّ إلا مَنْ مُحِيَ وَمَحَا .:. لَوْحَ الأَحِبَّةَ فِيمَنْ فِي هَوَاهُ فَنَى

فَانِي الدِّيَارِ عَنْ الأَغْيَـــارِ مَرْكَزُهُ .:. حَيّ افْتِقَارِ لِحُبِّ عَنْ سِوَاهُ غِنَى[2]

والسر الحقيقة، وهو ﷺ سر الأسرار ومنبع اللطائف والأنوار،

[السَّارِي] من سَرَى الْمَاءُ إذا جَرَى **[فِي سَائِرِ]** بمعنى جَمِيع **[الأَسْمَاء وَالصِّفَاتِ]**، يحتمل أن المراد:

أسماء المخلوقات باعتبار مُسَمَّيَاتِها وأوصَافِهم، فيكون المعنى: الْمُمِدُّ لجميع ذوات الخلائق وصفاتهم، كما تشهد له الأحاديث الصحيحة، فلا شيء إلا وهو به مرتبط من

---

(1) الأطمار: واحدها طمر، وهو: الثوب الخلق البالي.(العين: باب الطاء والراء والميم/424/7) والعذار مَا تَدَلَّى مِنَ اللِّجَامِ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ، فأزاله عن مكانه. خلَعَ عِذَارَه: ترك الحياءَ وركِبَ هَواه. (لسان العرب:550/4).

(2) في الأصل (الأعيار) والصواب ما أثبتناه (الأغيار).

كل جهة(1)، مِن حيث الإيجاد والإمداد(2)، إذ لولاه ما وُجِدَ مَوْجُود، فهو سر الله الممدود الذي وُصِلَ به كل موجود، حيث ظهر بمجلى الوجود لحضرة العيان والشهود: وإلى ذلك أشار سيدي علي وفا بقوله:

رُوحُ النَّبِيِّ قُطْبُ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا ∴ لَوْلَاهُ مَا تَمَّ الْوُجُودُ لِمَنْ وُجِدْ

عِيسَى وَآدَمُ والصُّدُورُ جَمِيعُهُمْ ∴ هُمْ أَعْيُنٌ هُوَ نُورُهَا لَمَّا وَرَدْ(3)

- ويحتمل أن المراد أسماء الله تعالى وصفاته، ومعناه أنه مَهْبِط التَّجَلِّي للأسماء والصفات، ومنه تَفَصَّلَت جَمِيعُ المظاهر بتفصيل التكميل الذاتي، إذ الحضرات الخمسة من حيث كلياتُها وجزئياتُها مندرجةٌ في النور المحمدي(4):

الأولى: الحضرة الإلهية التي هي أُمُّ الْحَضَرَاتِ ومنها تَفَرَّعَتْ كُلُّ حَضْرَةٍ مِن حَضَرَاتِ الذَّاتِ والأسماء والصفات، وهي حَضْرَةُ الْغَيْب الْمُطْلَق عن جميع

---

(1) في الأصل (جبهة)، والصواب ما أثبتناه (جهة).

(2) قال سيدي ابن مشيش: (وَلَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ، إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ). فالنعمة نعمتان: نعمة الإيجاد (سر الله)، ونعمة الإمداد (النور المحمدي).

(3) فهو ﷺ سبب لحياة من وجد من الخلق، أي علمهم موجودين منهم، لأنه لولاه ما تم الوجود لمن وُجد فهو كالعِلَّة لما قبله. وخصهما لأن عيسى آخرُ الرسل قبلَه، وآدمُ أولُهم، والصدور هم العظماء الذين يُصَدَّرُون ويُعَظَّمون في المجالس، والمراد سادتنا الأنبياء، وأن ورائهم الأولياء، فهم أعينٌ وهو ﷺ نورُها.

(4) حضرة الغيب المطلق: وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية، حضرة الشهادة المطلقة: وعالمها عالم الملك، حضرة الغيب المضاف: وهي تنقسم إلى ما يكون أقرب من الغيب المطلق، وعالمه عالم الأرواح الجبروتية، والملكوتية: يعني عالم العقول والنفوس المجردة، وإلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة، وعالمها عالم المثال، ويسمى بعالم الملكوت، الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة: وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها، فعالم الملك مظهر عالم الملكوت، وهو عالم المثال المطلق، وهو مظهر عالم الجبروت، أي عالم المجردات، وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة، وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية، وهي مظهر الحضرة الأحدية.

الاعْتِبَارَاتِ، وعَالَمُهَا عَالَم الأعْيَان الْكَوْنِيَّة الثَّابِتَة فِي الْحَضْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وفي مقابلتها حضرةُ الشَّهادة المطلقة وعالَمُها عَالَمُ الْمُلْكِ، وحضرة الْغَيْب الْمُضَاف وهي تنقسم إلى: مَا يكُونُ أقْرَبَ من الغيبِ الْمُطْلَق وعالَمُهَا عالَم الأرْوَاح الْجَبَرُوتية والْمَلَكُوتيَّة أعني عَالَم الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ الْمُجَرَّدَةِ، وإلى: ما يكون أقرب من الشَّهَادةِ الْمُطْلَقَة وعالَمُها عالَمُ الْمِثَال ويُسَمَّى عَالَم الْمَلَكُوتِ. والخامسة الحضرة الْجَامِعَة لِلْحَضَرَات الأَرْبَعَةِ المذكورة وعالَمُهَا عالَم الإنْسَانِ الْجَامِـعُ لجميع العوالم وما فيها من حقائق الإمْكَانِ(1).

فَعَالَم الْمُلْكِ مَظْهَرُ عَالَم الْمَلَكُوت، وعَالَم الْمَلَكُوت مظهر عَالَم الْجَبَرُوت،وعَالَم الْجَبَرُوت مَظْهر عَالَم الأعْيَان الثَّابِتَةِ فِي الْحَضْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وعَالَم الأعْيَان مَظْهَر الأسْمَاء الإلَهِيَّة، والْحَضْرَة الْوَاحِدَة مَظْهَر الأحَدِّيَّةِ(2).

والنبي ﷺ مظهر الأسماء والصفات، وباعتبار الكمال الذاتي لم يجد المدد كل شيء فيما هو فيه وجودا أو علما أو جمعية أو كمالا أو بقاء أو اعتدالا إلا من الطلعة المحمدية فكان ﷺ أحسن الصورة، التي هي صورة الجمعية المعنوية الشاملة، جميع

---

(1) يقول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر: كل حقيقة من الحقائق الإلهية أو الكونية، مع جميع مظاهرها في كل العوالم تشكل حضرة، هي حضرة الحقيقة المشار إليها. وإن الحضرات الإلهية لا تكاد تنحصر لأنها نسب، وكل اسم إلهي حضرة، ومن أسمائه ما نعلم ومنها ما لا نعلم. إلا أن الشيخ الأكبر يرجعها إلى أصول أمهات تجمعها، كما أرجع الأسماء الإلهية إلى أمهات، وكذلك كانت الأسماء الأصول والفروع. فكل مجموعة حقائق تآلفت بشكل مخصوص يعطي حقيقة جديدة واحدة مركبة لها خصائص مميزة وصورة واضحة، كما أن كل نسبة بين الحق والخلق تؤلف حضرة، من حيث إن العبد يحضر فيها مع الحق من هذه النسبة، فهناك مثلا حضرة المشاهدة، وهي على منازل مختلفة وإن عمتها حضرة واحدة، ومنها حضرة المكالمة، وحضرة السماع، وهكذا. (يراجع في ذلك الفتوحات المكية لابن عربي، والمعجم الصوفي لسعاد الحكيم).

(2) فعالم الملك مظهر عالم الملكوت، وهو عالم المثال المطلق، وهو مظهر عالم الجبروت، أي عالم المجردات، وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة، وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية، وهي مظهر الحضرة الأحدية.

الأسماء والحقائق الإلهية والكونية في المرتبة الثانية المتعلق بها مبدأ آية ظهور الكمال الأسمائي الذي خُلِقَ آدَمُ عليها بِحُكْمِ الرَّايَةِ، لأن الْكَمَالَ الذَّاتِي كَامِلٍ فِي التَّجَلِّي الأَوَّل الذي هو الْطَلْعَة المُحمدية، ومنه ظهرت أنوار الأسماء الذاتية السلبية: كالأحد والفرد والوتر، والثبوتية: كالواحد وباطن اسمي الرحمن الرحيم وكل مفاتيح الغيب وكباطن الأسماء السبعة ونحوها(1).

وتطلع من هذا الموضوع بواسطة هذه الأنوار المذكورة في المرتبة الثانية أنوار أسماء الصفات. ثم تظهر منه بواسطة هذه الأنوار أنوار أسماء الأفعال فَظَهَرَت بَهْجَةُ تلك الطَّلْعَة بإشراق النور الذاتي الأحدي الجمعي الأكملي، وظهور سروره بأثر الجمعية الحقيقية والوسطية واندراج جميع آثار التميزات والاختصاصات في وحدة جمعيتها

---

(1) فالكمال كمالان: ذاتي (وهو حصول ما ينبغي للذات بلا شرط شيء أصلا دفعة واحدة، ولذلك كان مما ينبغي له أحكام أوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته وحكم أوليته وأبديته له كان له ذلك دفعة واحدة بلا شرط شيء)، وكمال أسمائي (وهو حصول ما ينبغي لكن بشروط كالظهور والمرتبة والتميز ومثل ذلك)، وأراد بالطلعة عين هذا التجلّي الأول الذي هو عين النور، باعتبار أن بهذا التجلّي يحكم على الذات الأقدس بأنه ظاهر لنفسه في نفسه بلا شرط شيء ، فإن كنه الذات وغيبه المطلق لا يحكم عليه بشيء من الظهور وغيره أصلا لعدم دخوله تحت تصوّر بوجه من الوجوه وبهذا التجلّي الذي هو باطن اسم الله عُرِف وظهر علمه وإحاطته بكل شيء بإخباره أولا وبكشفه إياه لمن كان قابلا لذلك ثانيا، فكان هذا التجلّي الأول طلعته، أي ما يطلع به عليه وما يطلع ويظهر به نوره لنفسه ومن أراده، وباعتبار أن الطلعة تستعمل في الوجه الذي هو ما يواجه به الكائنات أيضا، وإنما كان هذا البرزخ والمطلع بهذه الطلعة محل طلوع أنوار من جهة أنه تطلع منه في المرتبة الأولى أنوار الأسماء الذاتية السلبيّة منها ؛ كالأحد والفرد والوتر، والثبوتية منها كالواحد وباطن اسم الله وباطن اسم الرحمن والرحيم المذكورة في بسم الله الرحمن الرحيم، وكمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلّا هو، وكباطن الأسماء الإله السبعة ونحوها .وتطلع أيضا من هذا المطلع المذكورة بوساطة هذه الأنوار المذكور في المرتبة الثانية أنوار أسماء الصفات لم تطلع منه بوساطة هذه الأنوار أنوار أسماء (منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض لسعد الدين الفرغاني – ت700هـ).

الحقيقية. وفي حقيقة سريّتها الظاهر أثر ذلك في ذوق مظهره هذه الطلعة المشار إليه بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾ [الأنبياء: 107]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً﴾ [سبأ: 28]، والحاصل أنَّه ﷺ المُمد لجميع ذوات الخلق وصفاتهم دنيا وأخرى بواسطة أنه مهبط التجلي الإلهي للأسماء والصفات.

وهنا وقف القلم حامدا شاكرا للنعم، مصليا مُسَلِّمًا على منبع الجود والكرم سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم يبعثون، صلى الله وسلم عليهم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

تم بحمد الله وتوفيقه بخط الفقير المذكور

يوم الاربعاء 24 من رجب 1412هـ 29 من يناير 1992م

الجزء الثالث

شرح صلاة العارف محمد البكري

قَدَّسَ اللهُ أسرارَه وَصَفْوَهُ العِطْرِيّ

لشيخنا الإمام أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي

رضي الله عنه

الصيغة محل الشرح والاعتناء

[اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ النَّاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ]

قال مولانا القاوقجي رضي الله عنه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ شَرَحْتَ بأنوارِ الْهِدايةِ صُدُورَنا، وَنُصَلِّي ونسلِّمُ على سيدِنَا مُحَمَّدٍ الذي نَوَّرْتَ بِالصَّلاةِ عليه قُلُوبَنا، وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأحبابه، وبعد:

فيقول العبدُ الذَّليلُ الرَّاجِي لُطْفَ مولاه الجميلَ، أبو المحاسن محمد الْقَاوقْجِي بن خليل، عَامَلَهُ اللهُ وأحبابَه بلطائفِ إحْسَانِه وأفَاضَ عليه وعليهم شَآبِيبَ رِضْوَانِه[1]: هذا شَرْحٌ لطيفٌ وضعتُه لِحَلِّ ألفاظِ صلاة العارف محمد الْبَكْرِي قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ وَصْفِه الْعِطْرِيّ

وقد حكَى بعضُهم عنه أن مَنْ صَلَّى بها مرةً واحدة في عُمُرِه لا يدخل النَّارَ،

(1) شآبيب: جمع شُؤبوب، وأنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ شآبِيبَ رَحْمَتِهِ: غَمَرَهُ بِعفْوِهِ.

وقال شيخ شيخنا سيدي أحمد التيجاني[1]: (إنها نزلت عليه في صَحِيفَةٍ مِنْ الله، وإن قراءتها مرةً تَعْدِلُ ثوابَ ست ختماتٍ قرآنية، قال: والنبي أخبرني بذلك). قال العلامة الصَّاوِي في شرح صلوات شيخه الدَّرْدِير[2]: (وهذا القولُ إنْ صَحَّ يجب تَأْوِيلُه[3]، ومِنْ جُملة التأويل مَا يُقَال، إن هذا بحسب ما فُتِحَ له، أي أن صلاتك مرة تعدل ست ختمات لغيرك، ومنه أن الْمَزِيَّةَ لا تقتَضِي الأفْضَلِيَّة لأنه قد يحصلُ النورُ في بعض الأذكار دون بعض) [4] اهـ. وقال بعضهم الْمَرَّة منها تعدل عشرةَ آلاف، وقيل ستمائة ألف. ومن داوم عليها أربعين يوما تاب الله عليه من جميع الذنوب، ومن تَلاهَا ألف مرةٍ في ليلة الخميس أو الجمعة أو الاثنين اجتمع بالنبي ﷺ مناما أو يقظةً. قال الشيخ أحمد الصَّاوي: (وتكون التلاوة بعد صلاةِ أربع ركعاتٍ يقرأ في الأولى سورة القدر ثلاثا، وفي الثانية الزلزلة كذلك، وفي الثالثة الكافرون كذلك، والرابعة المعوذتين كذلك، ويبخرُ عند التلاوة بعود) اهـ.

---

(1) قال الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه: (إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فإن وافق فاعملوا به، وإن خالف فاتركوه).
هذه أول كلمة في الإفادة الأحمدية، وسببها أنه سئل رضي الله عنه أيكذب عليك ؟ قال: نعم، وذكره. هو شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بالجزائر 1150هـ ونشأ بها، وتوفي 1230هـ. برز شيخاً كرس حياته للتربية الروحية والأخذ بيد السالكين، وأسس طريقته في فاس، ومنها خرجت الدعوة لتنتشر في أفريقيا عامة.

(2) الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي، من خلفاء الشيخ الدردير. ولد الشيخ في قرية صا الحجر – محافظة الغربية، 1175هـ، توفى: 1241 هـ، ودفن بالمدينة المنورة. من أبرز الفقهاء في عصره، ونسبته إلى الخلوتية فمشربه من مشرب شيخ الوقت والحقيقة الدردير. شهد له الجميع بفضله وعلمه. كان يعلم مريديه الأخلاق الحميدة، ويلاطفهم، ويقدم في أمور الطريق صاحب الهمة صافي السريرة ولو كان صغيراً في السن على من ليس له همة، ولو كان مسناً فاضلاً في العلم. له العديد من الكرامات المشهورة.

(3) وهذا من دقة وعمق السادة، يبحثون عن المعاني التي تَصْدُق بها الكلمات.

(4) المزية لا تقتضي الأفضلية، ومثاله الحديث القدسي عند الترمذي: (المتحابُّونَ في جلالي لَهُم مَنابرُ مِن نورٍ يغبطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ)، أي أن لهم مزية، ولكن هذه المزية لا تقتضي الأفضلية، فالأنبياء أفضل قطعا.

قال المصنف رضي الله عنه وعنّا به(1): [اللَّهُمَّ] أي يا من اجتمعت له الأسماءُ الحسنى وتحققت له الصفاتُ العليا، [صَلِّ] أمرٌ فيه معنى الاستدعاء لإنزال الرحمة، {وَسَلِّمْ} أي حَيِّ بِطَيِّب التحية(2)، [وَبَارِكْ] أَفِضْ بركاتِ الدنيا والدينِ مصحوبةً بالزيادة والكرامة، [عَلَى سَيِّدِنَا]، قال في الشفاء: السيد الذي يلْجأ الناسُ إليه في حوائجهم(3) [مُحَمَّدٍ] اسم مفعول من حَمَدَ بالتشديد مبالغةً، وحمد بالتخفيف أي مَنْ كَثُرَت صِفاتُه الحميدةُ وكمالاته السعيدة، وقد حَمِدَه ربُّ العالمين وخالق الأولين والآخرين لاسيما في المقام المحمود، وحال نشر اللواء الممدود [الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ] بضم الهمزة وكسر اللام مبنياً للمفعول، والغلق ضد الفتح، يقال أَغْلِقِ الباب إذا قَفَل، ويُسْتَعَارَ لما صعب وتعذر الوصول إليه من المعاني والأحكام، ففيه استعارة تبعية حيث شبه الصعوبة بالغلق واستعار الغَلْقَ للصعوبة(4)، واشتق من الغلق أغلق بمعنى صعُب، والجامع بينهما تعذر الوصول في كلٍ(5). والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم فَتَح ما كان مغلوقا من الشرائع، لأن

---

(1) والصيغة محل الشرح والتحقيق هي: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ النَّاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ.

(2) يجوز قول (بِطَيِّب التحية)، من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى بالتحية الطيبة والإضافة للبيان، ويجوز (بِطِيبِ التحية) على المصدرية مِنْ طَابَ يطيبُ طِيباً.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مع حاشية الشمني (208/1).

(4) الاستعارة التبعية تختلف عن الاستعارة الأصلية حيث إنها تكون في المشتقات والحروف، وقال الزين الصياد المرصفي في لاميته: وَتَابِعَةٌ فِي ذِي اشْتِقَاقٍ وَأَحْرُفٍ ... وَأَصْلِيَّةٌ فِي الْغَيْرِ كَالْبَدْرُ أَقْبَلَ. فالاستعارة هنا تصريحية تبعية عند الجمهور خلافا للسكَّاكِي، حيث إنه أنكر التبعية وألحقها بالمَكْنِيَّة (راجع الرسالة السمرقندية في الاستعارات). أما كونُها تبعية فلأنها في الفعل، وأم كونها تصريحية فلأن المُصَرَّح به هو المشبَّهُ به. وأما الأصلية فتكون في غير المشتقات والحروف كأسماء الجنس مثل: شاهدتُ بَحْرًا يَعِظُ النَّاسَ، وسميت التبيعة بهذا لأن الاستعارة تكون في المشتق تبعا لكونها في أصله، وتكون في الحرف تبعا لمتعلق معناه الكلّي.

(5) هذا إشارة إلى علاقة المشابهة.

رسالته كانت بعد فترة زمن الجاهلية، وفَتَح الله به على عباده أنواع الخيرات، وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية، فكل الأرزاق من كَفِّه كما يشير إليه حديث: (أُتيت مفاتح خزائن السموات والأرض)(1)، أي التي قال الله فيها ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الشورى: 12]، أي مفاتيحها فقد أعطاها لحبيبه ﷺ(2)، أو المعنى أن الله فتح به باب الوجود، فهو أولُّ صادرٍ من الله(3)، ولولاه لم يُخْلَق شيء(4)، كما أشار

(1) والحديث أصله في الصحيحين بلفظ: "وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ"، أخرجه البخاري، ح3596، ومسلم (30)، (2296) ، ومن رواية أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في مسند أحمد (إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا).

(2) وفي الحديث من رواية البخاري ﴿وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي﴾، ومن لطائف معنى أنه ﷺ (قاسم) ما جاء في التشهد وحيث أنزل الله السلام كلّه على النبي (السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ) قام النبي بوظيفته بتقسيمه على العالمين (السَّلام عَلَيْنا وعلى عِبادِ اللَّهِ الصَّالِحين)، بِدَلِيلِ «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي» وهنا دلالة من اسم الفاعل (قَاسِمٌ)، أنه غيرُ مرتبط بزمان، فهو دائم لا ينتهي بل هو باقٍ حال حياته وبعد انتقاله، وإلا انتهت الرسالة، والفعل المضارع (يُعْطِي) يعني أن العطاءَ الإلهي متجددٌ ليناسب كُلَّ زمان.

(3) فهو الأحدي الثاني.

(4) وفي ذلك يقول مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة حفظه الله تعالى: إن مقولة «لولاك ما خلقت الأفلاك» ليست حديثًا صحيحًا عن الرسول ﷺ، إلا أن المعنى أنه لولا سيدنا محمد ﷺ ما خلق الله الخلق، فالعبارة معناها صحيح ولا يتناقض مع الإسلام وأصول العقيدة وأساسيات التوحيد، بل تؤكده وتدعمه خاصة إذا فُهِمَت بالشكل الصحيح، فهذه المقولة لا يقصد بها بأن الرسول ﷺ مثيل أو نظير لله تعالى، وإنما الرسول ﷺ كفء للكون وليس لله، فهو سيد ولد آدم، ولقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾]الذاريات: 56[، فخلق الله تعالى الكون من أجل العبادة، والعبادة لا تتحقق إلا بالعابدين، وأفضل العابدين هو سيدنا محمد ﷺ فهو عنوان العبادة وعنوان التوحيد كما أن الآية تتكلم عن الجن والإنس ولا تتكلم عن الخلق أجمعين، أما باقي ما في السموات والأرض فهي مخلوقة لخدمة الإنسان قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾]الجاثية: 13[، وسيدنا محمد ﷺ هو عنوان الإنسانية بل هو الإنسان الكامل، ولقد خاطبه ربه بذلك قائلًا له سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾]الانشقاق: 6[) اهـ. فهو الواسطة الكبرى، ولولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط.

اليه ابن الفارض بقوله:

لَوْلَاكَ يَا أَحْمَدَ الْمَحْمُودِ مَا طَلَعَتْ ∴ شَمْسٌ وَلَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

[وَالْخَاتِمِ] بالفتح والكسر **[لِمَا سَبَقَ]** أي من النبوة والرسالة فإنه لا نبي بعده ولا رسول يجدد شريعته، وعيسى إذا نزل من السماء يكون على شريعة نبينا محمد ﷺ، كما أن الخَضِر والياس يعبدان الله بشريعته ومن أمته، **[النَّاصِرِ]**[1]، وفي رواية (وَالنَّاصِرِ) بالواو [الْحَقِّ] إما مجرور بالإضافة، أو منصوب على المفعولية بالناصر، لأن إضافته لفظية. قال ابن مالك:

ووَصْلُ أَلْ بذي المضافِ مُغْتَفَرْ ∴ إنْ وُصِلَتْ بالثَّانِ كالجَعْدِ الشَّعَرْ

والحق الثابت والمراد به هنا الدين [بِالْحَقِّ] أي بالأمر الحق، أي أنه ﷺ في نصره لدينه ملازمٌ للحق ودائرٌ معه ومقوي للدين الحق بالحجج الحق وبالقتال الحق المأمور به من حضرة الحق.

أو المراد بالحق الثاني هو الله، لأن الحق من أسمائه فيكون المعنى المؤيد الدين بربه، أو المراد به الصدق أي الذي نصر الدين ملتبساً بالصدق، أو المراد القرآن فهو ﷺ مظهر الحق الذي لجأ به ظلمة العدم، وسناه الذي شق به حَنَادِسَ الظُّلَمِ[2]، وهو الحق الأول لأنه الإنسان الكامل المكمل، والحق المخلوق، والروح القدسي، الأنزه الأكمل.

[وَالْهَادِي] أي الدال **[إِلَى صِرَاطِكَ]** طريقك **[الْمُسْتَقِيمِ]** القويم الذي لا اعوجاج فيه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، أي بنا

---

(1) وتلقيناها من شيخنا سيدي الإمام العلامة نور الدين علي جمعة (نَاصِرِ)، ضمن الصلوات الجليلة التي تشتمل عليها الحضرة الصديقية الشاذلية.

(2) سَنَا البَرْقُ : أضَاءَ، حنادِسُ: جمع حِندِس، والحِنْدِسُ: الليلُ الشديد الظلمة والسواد.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1]، أي من حيث أنت[2].

قال الكاشاني: لما قَضَى حُكْمُ سلطَتِه الذَّات الأزلية والصفات العلية ببسط ملة الألوهية ونشر لواء الربوبية بإظهار الخلائق وتسخيرها، وإمضاء الأمور وتدبيرها وحفظ مراتب الوجود، ورفع مراتب الشهود، وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيد جداً، أحْكَمَ الحكيمُ سبحانه وتعالى بتخليف نائبٍ منوبٍ عنه في التصريف والولاية والحفظ والرعاية وجعل له وجها في القدم يستمد به من الحق، ووجهاً في الحدوث يُمُد به الخلق ويدلهم على الحق[3]، وخلع عليه جميع أسمائه وصفاته[4]، ومكنه في الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، وإحالة حكم الجمهور عليه، وهو الحبيب الأعظم ﷺ والأنبياءُ نوابُه إذ هو الخليفةُ على الإطلاق. قال ابن الفارض:

وجاءَ بأسرارِ الجَميع مُفيضُها .:. علَيْنَا لهم خَتْمًا على حين فَتْرَة

وما مِنْهُمُ إلاَّ وقدكانَ داعِياً .:. بِهِ قومَـــهُ للحَقّ عـــن تَبَعِيّة

[صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ]، أي منتهى رتبته، ومقامه العظيم وصفُ كاشفُ، وفي رواية إسقاط ﷺ، وفي أخرى وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) في المخطوط واو زائدة (وإِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)، والصواب ما أثبتناه (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) القصص: 56.

(2) فوجه الجمع بين الآيتين: أن الهدى المنفي عنه ﷺ هو منح التوفيق فهذا لله تعالى، والهدى المثبت له هو إبانة الطريق.

(3) المقصود بالقدم هنا القدمُ الإضافي، أي بالنسبة لجميع المخلوقات، فهو سابقٌ عليها، إلا أن لخلْقِه أولا بمعنى أن له ﷺ أول. وأما القدمُ الذاتي وهو نفي الأولية، أي أولية الوجود، فهو الصفة السلبية لله تعالى وحده، ولم يثبتها أحدٌ من السادة الصوفية رضي الله عنهم وأرضاهم لمخلوق.

(4) ولذلك قيل: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النُّورِ الذَّاتِي وَالسِّرِ السَّارِي فِي سَائِرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعَلَى آلِهِ)، وهي صلاة سيدي أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره.

وهذا آخر ما ألهمني الله ببيانه سائلاً منه القَبول بفضله وإحسانه، والحمد لله أولا وآخرًا ظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين إلى يوم يبعثون، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

تم بحمد الله وعونه نقل هذا الكتاب بخط الفقير إلى الله الرحمن: طارق صابر سرحان خادم تراب أقدام السادة الشاذلية وذلك بإذن من سيدي ولي الله الكامل فضيلة الشيخ محمد سعد بدران(1)، وذلك يوم الخميس 25 من رجب 1412هـ - 30 من يناير 1992م، ولقد أجزت بهذه الشروح والمتون ولدي البار المهذب المصان: الشيخ طارق صابر سرحان كما أجازني بها شيخي وأستاذي قطب زمانه ووحيد عصره وأوانه مولاي سيدي محمد أبو النصر القاوقجي رضي الله عنه آمين.

الفقير إلى الله تعالى

محمد سعد بدران خادم السادة الشاذلية القاوقجية

الاثنين 12 رمضان سنة 1412هـ

16 مارس سنة 1992م

---

(1) الشيخ محمد سعد بدران العارف بالله تعالى، الداعية المُعَمِّر البركة، خادم القرآن طول الزمان، المحدث الفقيه، الصديقي نسباً، البرمبالي مولداً، السعداوي إقامةً، السُنِي عقيدةً، الحنفي مذهباً، الشَّاذِلِي القَاوُقْجِي طريقةً. ولد 1916م، وكان فتحه على يده السيد المربي/ بهاء الدين محمد القاوقجي أبي النصر بن مولانا /محمد أبي المحاسن القاوقجي. توفي1428 ه سنة 2007م.

خاتمة الاعتناء بالنصوص الثلاثة

هذا غَيْضٌ مِن فَيْضِ تفنُّنِ أهلِ الله في الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ إبرازا لمحبته، وتعلقا بجانبه، وتوسلا إلى الله تعالى به، وقد استشعروا في كتاباتهم عدة معانٍ، يطيب لنا هنا أن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المعاني الآتية:

المعنى الأول: التشريف، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، أي ادخلوا مع الحضرة القدسية، فالله تعالى يصلي على رسوله، والملائكة يصلون عليه، وشرفُ المؤمنين هو الدخولُ في هذه الحضرةُ العُليا التي لا تدانيها حضرة، ولا في وجهٍ من الوجوه.

المعنى الثاني: التكليف، حيث إن القاعدة الأصولية تقضي بأن الأمر للوجوب حقيقة، وفي الآية أمر. وإذا أردنا أن نصوغ من ذلك قياسا منطقيا، قلنا: إن قوله تعالى (صَلُّوا عَلَيْهِ) أمر "المقدمة الصغرى"، والأمرُ للوجوب حقيقةً "المقدمة الكبرى" فاللازمُ وجوبُ الصلاةِ عليه قطعا، وعلى ذلك إجماع المسلمين، وإن اختلفت آراؤهم في مواضع الصلاة عليه، والقدر الواجب منها.

المعنى الثالث: الرِّفْعَةُ، أي الرحمة المقرونة بالتعظيم، وهي عائدة على المُصَلِّي فقوله ﷺ (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا) [مسلم] ، بالإضافة إلى عَوْدِه على سيدنا النبي ﷺ، وهو ظاهر من تعلقها به ﷺ.

المعنى الرابع: التجدُّد، فالآية واردة بصيغة المضارعة (يُصَلُّون)، وهذا معناه أن الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ لا تنقطع في آنٍ. وقد سبقت الإشارة إلى تَرَقِّيه في مقامات الكمالات حتى يصل إلى مقامٍ في القيامة يَحْمَدُ اللهَ تعالى بمحامدَ هو نفسه ﷺ

لا يدركها الآن، فالشرف لا يتناهى.

المعنى الخامس: القَبُول، فكل عملٍ بين القبول والرد إلا الصلاةَ على حضرته ﷺ دون النظر إلى المصلّي ونيته وحالِه، وذلك لتعلقها بالمقام الأجل.

المعنى السادس: التفويض، من قولنا (اللهم)، وهو إرجاع الأمر إلى حقيقته، والعودة إلى الأصل، وهو أن الله تعالى هو الذي يُصَلِّي حقيقة، بمعنى إرجاع الفعل إلى فاعله الأصلي، فالفاعل على الحقيقة الله.

فهي معانٍ استشعرها أهل الله في كتاباتهم، وتدبيج صيغ الصلاة عبر القرون، وإننا على يقين أن ذلك – تدبيج الصيغ - مستمرٌ كمعين لا ينضب حتى يرثَ اللهُ الأرض ومن عليها، فألسنة الخلقِ أقلامُ الحقّ.

سبحان ربك رب العزة عم يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ

نصر السيد نصر طه

المحتويات